التماسيحُ الراقصةُ

فرناندو ســورِّنتيــنيــو

قصص قصيرة

عنوان الكتاب: التماسيحُ الراقصةُ – فرناندو سورِّنتينيو، قصص قصيرة
ترجمة: رجب سعد السيد
الطبعة الأولى: 2020م
جميع حقوق الطباعة والنشر الورقيّ والإلكترونيّ محفوظة
مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر
ب. ض: 03- 11- 520- 00408- 5- 022
س ت: 9882
44، شارع سوتير، أمام كلية حقوق الإسكندرية، دور3، مصر
موبايل: 01030036491 هاتف: 034830903
بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com
موقع إلكتروني: www.levantcenter.net
رقم الإيداع: 10925 / 2020م
الترقيم الدوليّ: 978-977-6815-17-9
الإخراج والتدقيق اللغوي: القسم الفني في مركز ليفانت بإشراف د. هانم العيسوي
تصميم الغلاف: إيهاب رشدي
توزيع: مكتبة ليلي، 39 شارع قصر النيل، القاهرة، 002/23934402

التماسيحُ الراقصةُ

فرنـاندو ســـورِّنتيــنيــو

قصص قصيرة

ترجمة

رجب سعد السيد

ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، 2020م

المحتويات

ملخص عن الكتاب	7
كيف أحتمي من العقارب؟!	9
فرانكنشتاين	17
صديقي لوقا	21
العودة إلى جذورنا	29
رجلٌ اعتاد ضربَ رأسي بمظلة	35
قصةٌ وعِبرةٌ	41
مسألة إيحاء	45
لقاء في الطريق	47
مشتغلٌ بالخرافات	51
التماسيحُ الراقصةُ	55
طيور طويلة الأرجل	60
فيلٌ على خِنصَري	69
عقابُ الحِملان	73
الأرنب أوشوايا	81
إمبراطورية الباراكيت	91
حربٌ نفسيَّة	95
المترجم في سطور	101

ملخص عن الكتاب

فيرناندو سورِّنتينو؛ كاتب أرجنتيني، ولد في بيونس أيريس عام 1942 يكتب القصة القصيرة والطويلة، وله كتابات موجهة للأطفال – يهتم بالخيال العلمي. يمزجُ في كتاباته الخيال والفكاهة مما يكسبها سمْتًا غرائبيًا. ترجمت أعماله إلى عديد من لغات العالم.

ويمكن مراجعة النصوص الأصلية في ترجمتها من الاسبانية إلى الإنجليزية في الموقع:

http://www.eastoftheweb.com/short-stories/index.php?p=web/author/fernandosorrentino

يتضمن 16 قصة تختص بالحث على المحافظة على القيم الأخلاقية، وهي: كيف أحتمي من العقارب؟ وفرانكنشتاين، وصديقي لوقا، والعودة إلى جذورنا، ورجل يضربني بمظلة، قصةٌ وعِبرة، مسألة إيحاء، لقاء في الطريق، مشتغلٌ بالخرافات، التماسيحُ الراقصة، طيور طويلة الأرجل، فيلٌ على خِنصَري، عقابُ الحِملان، الأرنب أوشوايا، امبراطورية الباراكيت، حرب نفسية

كيف أحتمي من العقارب؟!

(1)

يعمُّ الناسَ شعورٌ بالدهشة والخوف، بل والسخط، من الانتشار الواسع للعقارب، التي تهدد (بوينس آيريس)، المدينة التي كانت، حتى وقت قريب، خالية منها تمامًا.

ويلجأُ الأشخاصُ محدودو الأفق إلى أسلوب دفاع تقليدي للغاية ضد العقارب، ألا وهو استخدام السموم. أما ذوو المُخيَّلة الأنشط، فإنهم يحشدون في منازلهم الضفادع والعظاءات، على أمل أن تتكفل بالتهام العقارب. ويبوءُ الفريقان بفشل صارخ؛ فالعقارب ترفض رفضًا قاطعًا ابتلاع السموم، بينما تمتنع الزواحفُ عن ابتلاع العقارب. ولا ينجح الفريقان، بافتقارهما إلى الكفاءة، وبتعجلهما، إلا في شيئ واحد، هو أن تتفاقم الكراهية التي تحملها العقاربُ للبشر أجمعين، وأكثر من ذلك، إن كان بالإمكان.

أما أنا، فلي طريقة مغايرة، حاولتُ أن أنشرها فلم أنجح، وقد أسيئ فهمي، كما هو الحال مع كل الرواد. وأعتقدُ، بكل تواضع، أن طريقتي ليست هي الأفضل، فقط، بل الوحيدة الممكنة لمقاومة العقارب، مبدؤها الأساسي

يشتمل على تجنب المواجهة المباشرة، والانخراط في مناوشات وجيزة، وإن كانت محفوفة بالمخاطر، كما تشتمل على مداراة عدائنا للعقارب.

(وبطبيعة الحال، فأنا أعلمُ أنه يجب على المرء أن يلتزم الحذر في سعيه، كما أعلم أن لدغة العقرب مهلكة. وإذا وضعتُ نفسي في رداء الغوص فسأكون بمأمن من العقرب، وهذا صحيح، وصحيح أيضًا، بنفس الدرجة، أنني إن فعلتُ ذلك فإن العقارب ستتيقن تمامًا من أنني أخافها. وأنا أخافها بشدة، إلا أنه ينبغي على المرء ألاَّ يفقد رباطة جأشه).

وثمة تدبير أوَّليٌّ له نجاعتُه إن خلا من التركيز على العنف، ومن الانفعالات الدرامية، ويتضمَّنُ خطوتين بسيطتين. أُولاهما، ربطُ رِجليّ بنطالي بأشرطة مطاطية مشدودة للغاية، لمنع العقارب من الزحف إلى ساقَيّ. والثانية، التظاهرُ بأنني أعاني بردًا شديدًا، فأرتدي زوجًا من القفازات الجلدية، طول الوقت، وبذلك أتجنب تعريض اليدين للدغ.

(أشار نفرٌ من المُحبِطين إلى العيوب التي تنضوي عليها هذه الطريقة في فصل الصيف، دون أن يعترفوا بمزاياها العامة التي لا يمكن إنكارُها).

أما الرأس، فينبغي في كل الأحوال تركُها مكشوفَة، فهذه أفضلُ طريقة نُظهرُ بها للعقارب صورتنا كشجعان ومتفائلين. وإلى جانب ذلك، فليس من خصال العقارب أن تُسقط أنفسها من السقف على وجه الإنسان، وإن كانت تفعل ذلك في بعض الأحيان.

(وذلك ما حدث بصورة من الصور لجارتي الراحلة، التي كانت أمًا لأربعة أطفال صغار لطاف، أصبحوا الآن يتامى. ومما يزيدُ الطينَ بلَّةً أن مثل هذه الحقائق تنتهي إلى نظريات خاطئة، لا تفعل إلا أن تؤدي إلى زيادة صعوبة ومشقة مكافحة العقارب. والواقع، أن الزوج الباقي على قيد الحياة، يؤكد – دون أساس علمي كافٍ – أن العقارب الستة كانت قد انجذبت إلى لون عيني الضحية الأزرق الحاد، ويقدِّمُ كدليل واهٍ على هذا الزعم المتسرع، حقيقة أن العقارب قد وزعت، من قبيل المصادفة التامة، لدغاتها في مجموعتين، بواقع ثلاث لدغات لكل بؤبؤ عين. وأنا أعتقد بأمانة أن ذلك ليس أكثر من تخريفات تهيَّأت للعقل الرعديد لذلك الشخص البائس).

(2)

ومن المهم، عندما يتعلقُ الأمرُ بالدفاع، التظاهر بعدم إدراك وجود العقارب، ونحن بصدد مهاجمتها. وربما تبدو المسألة كما لو كانت من قبيل المصادفة، لكنني قد تمكنتُ، في هدوء بقدر ما أستطيع، من قتل ما يتراوح بين ثمانين ومائة عقرب، كل يوم. وأنا أمضي في ذلك على نحوٍ يحدوني الأملُ في أن يُتَّبعَ ويُستكمل، قدر الإمكان، من أجل بقاء الجنس البشري.

وكنت أجلس في المطبخ، وقد تملكتني الحيرةُ، ورحتُ أقرأ الصحيفة، ومن حين لآخر، أنظرُ في ساعتي، وأغمغم لنفسي بصوت عالٍ بما يكفي لتسمعه العقاربُ:

"اللعنة!. لماذا لم يتحدث الشيطانُ (بيريز)؟". إن ما به من انعدام ثقة أمر يزعجني، ويعطيه العذر ليسحق قدميَّ بغضبٍ فوق الأرضية عدة مرات، فأقتلُ بهذه الطريقة ما لا يقل عن عشرة من العقارب التي لا حصر لها، وتغطي الأرض.

إنني أكررُ، من فترة لأخرى، تعبيري عن نفاد الصبر، فأتمكن بهذه الطريقة من قتل عدد كبير بالفعل. ولا يعني ذلك أنني أُقلل من عدد العقارب، فلا حصر لها، وتغطي بالكامل كلاً من السقف والجدران.

وكنت أتعرضُ، من حين لآخر، لهجمات الهيستيريا، وألقي ببعض الأجسام الثقيلة على الجدار، وأنا حريص على الاستمرار في لعن بيريز، الذي يأخذ وقتًا طويلًا ليتصل بي.

ومن المخجل أنني حطمتُ بالفعل عدة أطقم من الأكواب والأطباق، وأنني أعيشُ وسط أواني ومقالي منبعجة؛ غير أن للدفاع عن النفس ضد العقارب ثمنًا مرتفعًا.

وأخيرًا، ها هو شخصٌ يهاتفني، فأصيح (إنه بيريز)، وأهرول إلى الهاتف. ومن الطبيعي، مع ما وصلتُ إليه من قلقٍ وتعجُّلٍ ألاَّ ألاحظَ الآلاف والآلاف من العقارب وقد افترشت الأرضية في هدوء، وتتدفق عند قدميَّ، ولها صوتٌ هُلاميٌّ خشن، كصوت بيضة تنكسر.

وفي بعض الأحيان – وليس أكثر من بعض الأحيان، فليس من دأبي الإفراطُ في اللجوء إلى ذلك – أتعثرُ، فأسقطُ بكامل طولي، فيترتب على

ذلك أن تتسع مساحةُ تأثيري، ويتزايد بالتالي عدد العقارب الميتة. وعندما أعود فأقف على قدميَّ، أجد ملابسي وقد ازدانت كلها بجثث لزجة لعديد من العقارب الكبيرة. إن التخلص منها، عقربًا بعد عقرب، مهمة صعبة، لكنها تتيح لي أن أتذوق طعم انتصاري.

(3)

وأودُ الآن أن أتطرَّقُ إلى استطراد قصير، أربط به نادرةً، تنويرية بحد ذاتها، عن حادثة وقعت لي منذ بضعة أيام، ولعبتُ – دون قصد مني– دورًا بطوليًا فيها، إن كان لي أن أقول ذلك عن نفسي.

فعندما حان وقتُ تناول وجبة الغداء، وجدتُ المائدة مغطاة تمامًا، كما هي العادة، بالعقارب. فضيات المائدة مغطاة بالعقارب. الموقد مغطىً بالعقارب. تحليتُ بالصبر، ورحتُ – باستكانةٍ، وحرصٍ على حماية عينيَّ – أُبعدها تدريجيًا، وألقي بها على الأرض.

ونظرًا لأن مكافحة العقارب تستغرق الجانب الأكبر من وقتي، فقد قررتُ أن أُعدَّ لنفسي وجبة سريعة، عبارة عن بضع بيضات مقلية. ولما جلستُ لأتناولها، كنت طول الوقت أزيحُ العقارب، وعلى نحو خاص، بعض ما تسلق طاولة الطعام من عقارب جريئة، أو تلك التي كانت تتمشى على رُكبتيَّ، عندما سقط، أو قفز، من السقف إلى طبق طعامي عقرب قوي ومكتنز بشكل لافت.

حلَّ بي رعبٌ أسقطُّ معه سكينتي وشوكتي. كيف لي، إذن، أن أفسر هذا السلوك؟. هل حدث ذلك من قبيل المصادفة؟. أهو هجومٌ عليَّ أنا شخصيًا؟. أتراه اختبارًا لي؟. ولبثتُ في حيرة لبعض الوقت. فماذا كانت نوايا ذلك العقرب تجاهي؟.

ولأنني جندي متمرس في المعركة ضد العقارب، فقد فهمت على الفور.

إن العقارب تستهدف إرغامي على تعديل طريقة دفاعي، وجعلي أتحول إلى الهجوم. ولكنني كنت واثقًا جدًا من فعالية استراتيجيتي؛ وما كانت لتفلح في خداعي.

ورأيتُ، وأنا أكبح جماح غضبي، أرجل العقرب السميكة، بما عليها من شعر، تتبقَّعُ في البيض, ورأيت جسمه وقد تشرَّبَ باللون الأصفر؛ ورأيتُ الذيل السام يخفُقُ في الهواء، مثل بحَّار في سفينة غارقة يطلب النجدة. وبصورة موضوعية خالصة، كان صراع العقرب مع الموت مشهدًا جميلًا؛ إلاَّ أنه أصابني بشيء من الغثيان؛ وفكرتُ في إلقاء محتويات الطبق في المحرقة، وكدتُ أفعل ذلك؛ ولأنني لازلت أمتلكُ الكثير من قوة الإرادة، تمكنتُ من كبح جماح نفسي في الوقت المناسب.

ولو لم أفعل ذلك، لاستحققتُ كراهية وتوبيخ آلاف كثيرة من العقارب، التي كانت – بشكوكها المتجددة – تراقبني من السقف والجدران والأرضية والموقد والمصابيح، ولكان في ذلك ذريعة لها لأن تعتبر نفسها عُرضةً للهجوم؛ ولا أحد يدري ماذا يمكن أن يترتب على ذلك.

(4)

وخادعتُ نفسي فتظاهرتُ بأنني لم ألحظ العقرب الذي كان يناضل في طبقي، وأكلتُه مع البيض وأنا في حالة ارتباك، وقمت بمسح الطبق بقطعة من الخبز، حتى لا أترك ولو قطعة واحدة من العقرب والبيض. واتضح أن العقارب ليست بغيضة الطعم كما كنتُ أخشى. ربما كان مذاقُها حامضي نوعًا ما، إلا أن ذلك ربما يكون مردُّه إلى حقيقة أن فمي كان لا يزال غير معتاد على تناول عقارب. وابتسمتُ بارتياح بعد آخر لقمة.

وتبيَّنَ، فيما بعد، أن درقة العقرب، التي كانت أكثر جفافًا مما كنت أحب، قد تسببت لي في عسر هضم، فاخترتُ، بكياسةٍ، أن أتناول زجاجة من مضاد عسر الهضم (ألكا سيلتزير)، لكي لا أعتدي على بقية العقارب.

وتوجد بدائل أخرى لهذه الطريقة، إلاَّ أنه من الضروري أن نأخذ في حسباننا أهمية المُضي قُدُمًا ونحن نبدو غير مدركين لحضور العقارب، فضلًا عن وجودها؛ وهذا هو جوهر هذه الطريقة.

ومع ذلك، فإنني تنتهبني بعض الشكوك؛ وأعتقد أن العقارب قد بدأت تتحقق من أن هجماتي لا تحدث عَرَضًا. فبالأمس، وعندما سقط وعاء الماء المغلي من يدي على الأرض، لاحظت أن ثلاثمائة أو أربعمائة عقرب كانوا يحدجونني، من باب الثلاجة، بنظرات وقحة، مرتابة موبِّخة.

وربما كان الفشلُ هو نهاية طريقتي؛ لكنني لا أستطيع، بالوقت الراهن، التفكيرَ في طريقة أفضل أحتمي بها من العقارب.

فرانكنشتاين

هو زميلٌ بالمكتب الذي أعمل فيه، نحيل الجسم وقصير القامة، ولا يرتدي إلا الملابس الرمادية، واسمُه "بيليجريني"، غير أنه يفضِّلُ أن يُنادى باسم (فرانكنشتاين)!؛ فما كان من كثير من أصدقائه إلاَّ أن سايروه، وراحوا ينادونه بهذا الاسم.

إنه موظفٌ مثالي؛ وهو يجلس قبالتي في مكان العمل، فيتسنى لي أن أتابعه وهو يعمل. وأنا أجده عنيدًا، مثابرًا، مجتهدًا؛ وإن كنتُ أخشى أن يكون مستوى ذكائه دون المأمول، وإلاَّ فبِمَ يمكن تفسير ما يطرأُ على وجهه من تغيرات تجعله يبدو شديد التركيز، كما لو كان يواجه مشكلة لا يمكن التغلب عليها، وهو يتعامل مع أبسط الأمور؟. ثم انظر إليه وهو يضغطُ بيديه على الزجاج فوق مكتبه، تاركًا عليه آثارًا مؤقتة من الرطوبة، ثم راقبه وهو يقرضُ خشب قلمه الرصاص، وكيف يُقلِّبُ عينيه، وكيف يمسح العرق من على جبينه، وكيف يرتجفُ وريدُ رقبته.

وباختصار, أنظر كيف يكاد فرانكنشتاين يفتقد تمامًا للذكاء. وأقولُ (يكاد)، وهذا أمر ليس في صالحه كلِّيَّةً، إذ أنه مُدركٌ لما به من قصور. فكم هو بائس هذا الرجل، الذي أشعر بالأسف من أجله.

إنني، مع ذلك، وقبل أي شيء، متخوِّفٌ، وأسألُ نفسي: ماذا يثور في مخ فرانكنشتاين البدائي من نواحي سخط خبيثة؟. واي رغبات للانتقام، لا ملامح لها، تدفعه لرسم خطة ساذجة في مخه، وهو لا يتفهمها تمامًا؟.

وقد ضبطني فرانكنشتاين، منذ أيام قليلة، وأنا أراقبه في معاناته، فأخذ يحدِّقُ فيَّ بشدة وفي بطء، والتمعت في أغوار عينيه صرخة توحش دموي؛ بعدها قلت لنفسي: يا إلهي، لا عجب أن يطلقوا عليه اسم فرانكنشتاين. ولما سألتُه: أخبرني يا بيليجريني، لماذا يسمونك فرانكنشتاين؟، ردَّ وهو يبتسم: إنه مزاحٌ ودودٌ، لا أكثر.

وأيًّا كان الأمرُ، فباعتقادي أن فرنكنشتاين كان يخفي عنِّي شيئًا ما. وفي فترة ما بعد الظهيرة في أحد أيام السبت، رتبت لي المصادفة البحتة أن أرى فرانكنشتاين يغُذُّ الخطى في وضح النهار بشارع فلوريدا، ويمشي بقوة دون أن يثني ركبتيه. وكانت ذراعاه ممدودتين، ووجهه يعزز، بما فيه من ضغينة زائفة، وعيدًا، وصولًا إلى أطراف أصابعه التي كان يتظاهر بأنه يخنق بها أناسًا اعترضوا طريقه؛ فأخلى بعضُهم الطريق وهم مندهشون أكثر منهم خائفون منه؛ وكانوا ما إن يتجاوزوا ما حسبوه خطرًا تلتفت رؤوسُهم ناحية فرانكنشتاين، مبتسمين في سخرية، مردُّها إلى أن وجوده المُبتذل فشل في إقناع أي شخص.

فهل يُدركُ فرانكنشتاين الآن أن تلك الابتسامات التي كانت في حقيقتها هازئة، قد عرَّتْ سلوكه التهديدي من أي تأثير؟. ويضافُ إلى ذلك سؤال،

هو: هل لدي أولئك المبتسمون ولو أدنى فكرة عن الشخصية الحقيقية لفرانكنشتاين؟.

والإجابة – بلا شك – أن، لا. لقد بدرَ ذلك منهم وهم، حتى، لم يروه وهو يعاني في مواجهة المشاكل التي ينبغي عليه معالجتها في مكتبه الوظيفي؛ ولو أنهم تنبهوا للأمر، كما فعلتُ أنا عدة مرات، لم يكونوا ليقدموا على السخرية من فرانكنشتاين.

والأسوأ من ذلك، هو أنه حتى زملائي في العمل لا يبدوا أنهم لاحظوا هذه الغرائب، ويروحون طول الوقت يُطلقون النكات عنه، ويربتونه على ظهره، قائلين له: يا فرانكنشتاين، فيضحكُ وهو يبدو مستمتعًا بالمودة والصداقة، حتى أنني كنت أقول لنفسي: لا بأس، فكل شيئ على ما يرام.

وعلى أي حال، فإن أصدقاء فرانكنشتاين يتحدثون بسرعة وهم يتلاعبون بالكلام، فيستخدمون الضمائر بدلًا من الأسماء الحقيقية الظاهرة ليشيروا إلى أشياء بعينها، مُلمِّحين بخبثٍ إلى ما هو معروف للجميع، ويستمتعون بترديد كلمات تافهة. وأتمنى لو كان بمقدوري أن أقول لهم تحدثوا على مهل أكثر، واستخدموا عبارات غير مجتزئة، وتوخوا الصراحة، وتخلوا عن الغموض .. ألا تدركون أن فرانكنشتاين لا يفهم؟.

وأنا على يقين من أن هذا الاحتياط، الذي ينبغي الأخذُ به، كفيل بتجنُّب كارثة كاملة شاملة؛ ومع ذلك فإنني ممتنع عن التدخُّل؛ فماذا إن حدث وعرف فرانكنشتاين أنني كنت مدركًا لما به من قصور رهيب؟. لذلك، فقد

كنت أقول لنفسي إن أفضل ما يمكنني فعلُه هو أن ألتزم الصمت، وألا أثير غضب فرانكنشتاين عليَّ أنا شخصيًا.

صديقي لوقا

(1)

لديَّ صديقٌ جديرٌ بأن يكون الأحلى والأكثر حياءً في العالم، يحملُ اسمًا هشًا عريقًا، هو (لوقا)، وعمره وسيط نوعًا ما، أربعون سنة. وهو قصير القامة، نحيف إلى حدٍّ ما، وله شاربٌ خفيفٌ، وشعر رأسه أخفُّ. ولأن إبصاره ليس على ما يُرام، فإنه يضع على عينيه نظارة صغيرة مستديرة، لا إطار لها.

وهو يتوخى ألا يزعج أحدًا، فتجده يلتزم، على الدوام، جانب الطريق؛ وبدلًا من أن يقول (اسمح لي)، يفضِّلُ أن ينسلَّ بجنبه، فإن لم يجد فراغًا مناسبًا يسمح له بالمرور، فإن لوقا ينتظر متحليًا بالصبر حتى يتحرك ما يسدُّ عليه الطريق من تلقاء نفسه، سواء كان حيًا، أو جمادًا، عاقلًا أو غير عاقل. وتزعجه الكلاب والقطط الضالة، فيحرص على تفاديها باستمرار بأن ينتقل من جانب إلى الجانب الآخر في الطريق.

ويتحدث لوقا بصوت رقيق للغاية، غير ملحوظ ولا مسموع، لدرجة يصعب معها تبيُّنُ ما إذا كان يتكلم، أساسًا. ولم يحدث أن قاطع أحدًا أبدًا، في حين أنه ليعجز عن إكمال كلمتين دون أن يقاطعه أحد. ولم يكن يبدو عليه الانزعاج من ذلك، إذ أنه كان يبدو سعيدًا في واقع الأمر لتمكنه من النطق بهاتين الكلمتين.

وكان صديقي لوقا متزوجًا منذ سنوات من امرأةٍ نحيفة القوام، غضوبٍ، وعصبية. وفضلًا عن ما لها من صوت زاعق لا يُطاق، يشي برئتين قويتين، وأنف مرسوم بدقة، ولسان كلسان أفعى، فإنها ذات مزاج خارج عن السيطرة، ولها شخصية مروِّض أسود. ولك أن تتعجب حين تعلم أن لوقا قد أفلح في أن يُرزق منها بطفل يحمل لقب الأم، اسمه (خوان مانويل).

إنه طفلٌ طويل القامة، أشقرُ، ذكيٌّ، دائم الارتياب، ومتهكم، وفيه تطرُّفٌ؛ وليس صحيحًا تمامًا أنه لا يطيع إلا والدته فقط. والحقيقة هي أنه يتفق معها دائمًا على أن لوقا ليس لديه الكثير ليقدمه للدنيا، فاختارا أن يتجاهلا آراءه القليلة التي نادرًا ما ينجح في التعبير عنها.

ولوقا هو الأقدم والأقل أهمية بين موظفي شركة كئيبة تعمل باستيراد الملابس، مقرُّها مبنىً معتمٌ ذو أرضيات سوداء اللون، يقع في شارع (السينا)، ويُطلقُ على مالكِها، الذي أعرفه شخصيًا، اسمُ (دون أكويرونتيدو)، وإن كنت لا أعلم إن كان هذا هو اسمه الأول أو لقبه، وله شارب يوحي بالشراسة، ورأس صلعاء، وصوته مُدوِّيً، وفيه عنفٌ وجشع. ويذهب صديقي لوقا إلى العمل مرتديًا ملابسًا سوداء اللون، عبارة عن بذلة قديمة جدًا، تلمع من شدة قِدمِها.

ولا يمتلك لوقا غير قميص واحد، ارتداه لأول مرة في يوم زواجه، له طوق رقبة بلاستيكي عتيق؛ وليس لديه إلا ربطة عنق واحدة بالية وزلِقة حتى أنها تبدو كما لو كانت رباط حذاء. ولم يكن لوقا، على العكس من زملائه،

يطيق رؤية نظرات الاستنكار في عيني (دون أكويرونتيدو)، فلا يجرؤ على القيام بعمله دون أن يرتدي السترة، التي كان حريصًا على بقائها بحالة جيدة، فيضع على كُمَّيها غطاءً واقيًا رمادي اللون.

وكان راتبه متدنيًا على نحو يدعو للسخرية، ومع ذلك فهو مواظب على العمل بالمكتب كل يوم، ويعمل ثلاث أو أربع ساعات إضافية، فقد كانت تكليفات (دون أكويرونتيدو) له ضخمة، لدرجة أن ساعات العمل الاعتيادية لا تكفي لإنجازها. والآن، وعقب تخفيض (دون أكويرونتيدو) لراتبه مرة أخرى، قررت زوجة لوقا عدم إلحاق (خوان مانويل) بمدرسة ثانوية حكومية، واختارت أن تسجل اسمه في مؤسسة مكلفة للغاية، في منطقة بيلجرانو.

ونظرًا للتكاليف الباهظة التي ينطوي عليها هذا الأمرُ، توقف لوقا عن شراء صحيفته، بل وصلت تضحيتُه إلى حد أكبر، فلم يعد يشترى مجلة (المختار)، وهما المطبوعتان المفضلتان له. وكان آخر مقال تيسر له أن يقرأه في هذه المجلة يشرحُ كيف ينبغي على الأزواج إخضاع شخصيتهم الطاغية من أجل إتاحة المجال لتحقيق رغبات بقية أفراد الأسرة.

(2)

وعلى أي حال، فثمة جانب واحد لافت للنظر في لوقا. إنه سلوكه بمجرد أن يستقلَّ حافلة، وإليكم ما يحدث على وجه العموم:

إنه يطلب بطاقة ركوب، ثم يبدأ في البحث عن نقوده ببطء، ممسكًا بباب الحافلة بيد واحدة للتأكد من أن السائق لا يزال بانتظاره، غير متأكد مما ينبغي أن يفعله، فلوقا غير متعجل، وعليَّ أن أقولَ إن نفاد صبر السائق يمنحه قدرًا من المتعة. ثم لا يلبث أن يقدم للسائق ثمن التذكرة مستخدمًا أكبر عدد ممكن من العملات المعدنية الصغيرة، يقدمها على مرَّات، بقيم متفاوتة، ودفعات غير منتظمة. ولسبب ما، ينزعجُ السائق، الذي يُضطرُّ اضطرارًا إلى إجراء عملية حسابية معقدة، منصرفًا عن الانتباه إلى السيارات الأخرى، وأضواء إشارات المرور، وعن الركاب الآخرين الذين يدخلون إلى الحافلة أو يخرجون منها، بل عن قيادة الحافلة ذاتها.

ويُفاقمُ لوقا المشكلة بتضمينه عملية الدفع عملة معدنية قديمة، من براجواي، يحتفظ بها لهذا الغرض، ويتم إرجاعُها إليه دائمًا. وفي العادة، فإن الأخطاء في الحساب تقع بهذه الطريقة، ويترتب عليها جدل، فيبدأ لوقا، بأسلوب هادئ ولكن حازم، يدافع عن حقوقه، مستخدمًا حججًا متناقضة، يستحيل معها فهم ما يحاول توضيحه بالفعل. وفي نهاية الأمر، فإن السائق، الذي ظل طول الوقت متمسكًا بآخر حدٍّ لقواه العقلية، وفي فعل استسلامي، يختار أن يطيح بالعملات المعدنية، وربما كان في ذلك ما يقمع رغبته في الإطاحة بلوقا ذاته، أو – في الواقع – أن يطيح بنفسه.

وقد اعتاد لوقا، في فصل الشتاء، أن يغادر بيته وقد ترك النوافذ مفتوحة على مصراعيها؛ وكان هو نفسه أول من يعاني نتيجة لذلك، إذ أصيب

بسعال مزمن يُجبره على البقاء مستيقظًا على مدى ليالٍ كاملة. وفي فصل الصيف، يغلقُ لوقا نافذته، مانعًا أي شخص من إسدال ستارة تقيه الشمسَ، حتى انتهى به ذلك إلى إصابته أكثر من مرة بحروق من الدرجة الأولى.

ولأن رئتيه ضعيفتان، فإنه ممنوع من التدخين، الذي يكرهه في الواقع. ومع ذلك، فقد حدث ذات مرة أنه لم يستطع، بمجرد دخوله إلى حافلة، مقاومة إغراء إشعال لفافةٍ رخيصة ثقيلة، تكفلت بسدِّ قصبته الهوائية وجعلته يسعل. ولما غادر الحافلة، أطفأ اللفافة، وفي نيته استخدامها في رحلة تالية.

(3)

إن لوقا شخصٌ ضئيل، كسول، جدير بالازدراء، ولم يهتم أبدًا بالرياضة. لكنه، ما إن يأتي مساء السبت يقوم بتشغيل مذياعه المحمول، رافعًا درجة صوته، ليتابع من خلاله مباراة في الملاكمة. وهو يكرّسُ أيام الآحاد لكرة القدم، مُعذِّبًا بقية ركاب الحافلة بصوت البث الصاخب.

والمعروف أن المقعد الخلفي لخمسة أفراد، غير أن لوقا، بحجمه الصغير جدًا، يجلس فيه على نحوٍ لا يتيح المجال ليجلس فيه إلا أربعة، أو حتى ثلاثة أفراد. وإذا حدث وكان يجلس في هذا المقعد أربعة أشخاص بالفعل، وكان لوقا واقفًا في الحافلة، فإنه يطلب الإذن بالجلوس، في لهجة ساخرة ومتهورة، ويبادر بالجلوس، عاملًا على احتلال مساحة أكبر. وتحقيقًا لهذه

الغاية، فإنه يضع يديه في جيبيه، فيظل المرفقان مسلطين إلى ضلوع جاريه.

وللوقا قدرات كثيرة ومتنوعة. فإذا اضطُرَّ إلى السفر واقفًا، فإنه يتعمدُ الاحتفاظَ بسترته مفتوحة الأزرار، ويعمل على ضبط وضعه، بحيث تصل الحافة السفلية للسترة إلى وجوه أو عيون المسافرين الجالسين. فإن كان بينهم من يقرأ، فإنه يمثل فريسة سهلة للوقا، فيراقبه عن قربٍ، ويجعل رأسه قريبة من الضوء، فيمنع وصوله إلى كتاب الضحية، ومن حين لآخر، يُبعدُ رأسه، كما لو أن ما حدث كان من قبيل المصادفة، فيسارع قارئ الكتاب إلى مطالعة كلمة أو كلمتين، قبل أن يعود رأس لوقا ليحجب الضوء.

ويعرف صديقي لوقا الأوقات التي تمتلئ فيها الحافلة بالركاب، وهي مناسبات يحلو له فيها أن يلتهم شطيرة سُجُقٍّ، ومعها زجاجة نبيذ أحمر. ويحلو له أن يتمشى بطول الحافلة صائحًا بصوتٍ عالٍ: عفوًا. بينما فتات الخبز مع خيوط من السجق لا تزال بين أسنانه، وقد وجه فمه إلى أنوف غيره من الركَّاب.

وإذا تمكن لوقا من شغل المقعد الأمامي فإنه لا يتخلى عنه أبدًا لأي إنسان. لكنه، إن وجد نفسه جالسًا في أحد مقاعد الصفوف الأخيرة، فإنه ما إن يلمح امرأة وعلى ذراعيها طفل تصعد إلى الحافلة، أو شخصًا ضعيفًا مسنًا يصعد على متنها، يسارع إلى الوقوف، ويصيح في الراكب الجالس

في الصف الأمامي، ليترك لها أو له مقعده. وقد اعتاد أن يوجه، فيما بعد، بفصاحته المؤثرة على الدوام، ملاحظات عتاب لأولئك الذين لم يتنازلوا عن مقاعدهم، فلا يلبث بعضهم، وقد شعر بالخجل الشديد، أن يغادروا الحافلة في المحطة التالية. وعلى الفور، يحتل لوقا مكانه.

(4)

ويغادر صديقي لوقا الحافلة وقد اعتدل مزاجُه للغاية، يمشي على مهلٍ متوجهًا إلى بيته، متحاشيًا أي شخص يقابله. ولما كان من غير المسموح له أن يحمل مفتاحًا لبيته، يكون عليه أن يدقَّ الجرس. فإن كان ثمة شخص موجودًا بالبيت، فمن النادر أن يرفض فتح الباب له. ولكن إن خلا البيت من زوجته وابنه، أو حتى من (دون أكويرونتيدو)، يكون على لوقا أن ينتظر وصول أحدهم، جالسًا على سلالم المدخل.

العودة إلى جذورنا

(1)

بي ميلٌ لأن أقبل، دون إبطاءٍ، أي فكرة يطرحُها عالمُ اجتماع، أو محلل نفسي، في اجتماعات المائدة المستديرة المتلفزة، حيث يتصاعد من بين النظارات واللِحى ودخان الغلايين صوتٌ ذكوريٌّ عميق مُتحقِّقٌ، طارحًا فكرة أن البشر المعاصرين قد تجسدت ملامحُهم، وأن المجتمع الاستهلاكي آخذٌ في استهلاكهم شيئًا فشيئًا.

إنتابني خوفٌ، وطرأت بذهني خاطرةٌ مذهلة، لا جدوى من وصفها لكن من السهل تخيُّلها، دفعتني لإغلاق التليفزيون على الفور، والإسراع إلى متجر (ساسوريو هيرمانوس) للدراجات في حي "فيلا أوركويزا".

لا أعرف كم عدد الأخوة ساسوريو بالمتجر، وإنما عرفتُ فيه رجلًا واحدًا، نحيلًا جدًا، وله عظام خدٍّ بارزة، واتضح لي أنه ماهر وكفؤ ونشيط، وتحدث إليَّ وهو يبيعني دراجةً، فانطلقت منه عبارات قليلة من النوع الذي يقوله المُعلِّمُ لتلميذ: "لقد قمت بأفضل ما يمكنك عمله، فقد أصبحت الحياة معقدة على نحو يدعو لليأس؛ فالدرَّاجة تتسمُ بالبساطة؛ وهي وإن كانت أداة ميكانيكية، إلا أنها ترتبطُ بأشياءٍ طبيعية، كالهواء النقي وآشعة الشمس والتمارين الرياضية.

وقد وافقته. وحلَّتْ بي سعادةٌ طفولية إلى حدٍّ ما وأنا أركب الدراجة متوجهًا إلى شوارع (فيلا أوركويزا) و(فيلا بويريدون)، منتهيًا بعد بضع دقائق في (فيلا لينش)، في (سانتوس لوغاريس) ، في (إل– بالومار).

قلت لنفسي: يا للروعة!.. لقد جعلتني هذه المركبة البسيطة التقشفية أقطع مسافات طويلة في وقت قصير نوعًا.

نعم، ولكن إلى أي مدىً ذهبتُ حقًا؟

ولأنني أمقتُ عدم الدقة والتخمين، رأيتُ أن أعود لمقابلة السيد ساسوريو، الذي حدجني – هذه المرة – بنظرة حادة متشككة، وبدا أن ثمة تحولًا في موقفه. قال: تذكَّرْ أنك أنت الذي اخترت أن تعود. أجبتُ بإطراء عاطفي: يعود العميل القانع دائمًا إلى التاجر الأمين.

وسألتُه عما إذا كان يعتقدُ أن إدخال تعديل على الدراجة بتزويدها بعداد مسافات أمرٌ جيد.

(2)

وبَّخني قائلًا: عداد المسافات بدون عداد السرعة يشبه الشوكة بدون سكين، إذ يكمل كل منهما الآخر ويعطيه سببًا للوجود. وسوف يخبرك عداد المسافات بالمدى الذي قطعته، أما عداد السرعة فيخبرك بمدى قوتك. فاعترفتُ بأنه على صواب. وخلال دقائق قليلة كان العدادان مثبتين على مَقود دراجتي.

وقال السيد ساسوريو: يتخبط الناس منشغلين بذواتهم، أو هم يولدون حمقى؛ ولذلك فلا تندهش أن صادفت شخصًا مخه غائب. فما رأيك في زامور كهربائي، ليكتمل لك ثلاثيٌّ بديع؟. قلت: يؤسفني ألا أتفق معك، لأنني أكره صوت الزامور. فألقى عليَّ محاضرةً: إن هذا الزامور يأتي من امبراطورية الشمس المشرقة، ولعلك تعرف أن اليابانيين يريدون الانفراد بالساحة.

إن حجم الزامور الكهربي لا يزيد عن حجم علبة ثقاب؛ وحتى إن كنت لا تُقدِّر نغمة زامور حضري، فيبقى أمامك أن تستمتع بالميزات الإضافية: صندوق رنين مزود بمشغل كاسيتات وجهاز تسجيل، وساعة هوائية تُظهر لك التوقيت الرسمي في طوكيو وأديس أبابا وهندوراس؛ ومقياس لدرجة الحرارة والضغط الجوي، وآلة حاسبة مصغرة تقوم بسبعة وخمسين، تفيد إن احتجتَ لإجراء عمليات حسابية على الطريق.

وأمام كل هذه الميزات، فقد أسعدني تمامًا أن أشتري الزامور. فلم يلبث السيد سواسوريو أن سألني: وماذا عن أحوال المناخ؟. وكان سؤالُه مُنمَّقًا، وأجاب عليه هو نفسه، قائلًا: إنه رائع، والنهار مشرق. إن شهر يناير في بينوس آيريس كفيل بإحراق مخ من له مخ. لكن، عليك ألا تتفاجأ إن تعرضتَ لعاصفة شديدة في موقع موحش جدًا، وعدتُ إلى بيتك مثقلًا بآلاف الليترات من مياه الأمطار، تثقل ملابسك وحذاءك.

انتابتني حيرةٌ للحظة؛ فأضاف: هل يُمكن أن يسمح شخص عاقل لنفسه، في هذا القرن الواحد والعشرين، أن يلحق به البلكُ، في وجود هذه الأداة الصغيرة؟. وكان يمسك براحة يده تلفازًا متناهي الصغر. قال عنه: يتنبأ بالتغيرات في الطقس في مدى اثنين وسبعين ساعة، دون أدنى خطأ.

(3)

وسرعان ما ثبَّتَ التلفاز القزم على مقود الدراجة. وأردف: كما أنه يُظهرُ خطوط تساوي الضغط الجوي وخطوط معدل هطول الأمطار في كل من أستراليا والجابون، ويوفر لك معلومات عن حركة المد والجزر في الخليج العربي، وبه نظام يعمل بالموجات فوق الصوتية يُهلك ما يقابله راكب الدراجة على الطريق من القنافذ والكلاب الضالة وعظاءات الإجوانا.

ولما سألتُه: وماذا عن البعوض والذباب؟، أجاب: لسوء الحظ، تحصَّلَ الذبابُ الحقيرُ على مناعة ضد أشعة هذا الجهاز المضمونة. لكن، ماذا يُعنينا في ذلك، إن علمنا أنه يقوم بالنسخ، على وجه واحد أو على الوجهين، بالألوان، وعلى أي نوع من الورق؟.

وقد لفتت هذه الميزة انتباهي، لأنني أقضي وقتًا طويلًا في أعمال النسخ.

ثم جاءت إشارة السيد سواسوريو إلى أنه من المهم ألا يشعر غطاء العجلة الخلفية بأنه أقل قيمةً من مَقودِ الدراجة، الذي استحوذ، دونه، على كل هذه العجائب. وراح يثبِّتُ صندوقًا معدنيًا بحجم طبق الزبدة، مزوَّدًا بأزرار وروافع، خلف مقعد الدراجة، ويقول: أنت كسولٌ نوعًا ما، وربما كنتَ أكولًا،

تحب الاستمتاع بطعامك. فإن هاجمتك آلام الجوع الشرسة وأنت على الطريق، فهل ثمة ما هو أفضل من هذا الفرن، الذي يعملُ بالآشعة تحت الحمراء، لتحميص الدجاج أو قطعة من اللحم البقري، مع البطاطس والبصل، في زمن قدره خمسة وعشرون ثانية، لا غير، بينما وحدات التقطير تحوِّلُ الرطوبة في الجو إلى نبيذ؟.

وكان عرضُه مُغريًا، ولم أكن قويًا بما فيه الكفاية لأن أرفضه.

وقال سواسوريو: لقد كان مولدي في هذه المدينة، وعشتُ في حي (فيلا أوركويزا) ثلاثةً وخمسين سنة. ثم رفع صوته ويده اليمنى، وواصل: وكان اعتقادي على الدوام أن الحي يشبه عائلة كبيرة.

إنك لا تبدو مُخادعًا، ولذا سأقبل المخاطرة، وأنا واثق من صدقك، وسأعطيك بطاقة ائتمان بالدولار، يتم تسديدها على ستة وثلاثين شهرًا، بالتقسيط المريح.

ولكي أوفر عليك مشقة الذهاب إلى محل عملي بالمختبر، اعطني عنوانك، الذي استشعرته بقلبي، وسوف يجيئ المدير المالي الذي يعمل لديَّ، إلي بيتك في الغد، ومعه بعض الأوراق لتمهرها بتوقيعك.

(4)

كتبتُ العنوان، في هامش صحيفة، بخط مهزوز. وخشية أن ينسى وعده، أكَّدتُ عليه: لا ريب أنه سيأتي في الغد .. أليس كذلك؟. قال: طبعًا

سيأتيك، وسوف يكون بحوزته أوراق أذونات مصرفية تنتحبُ بسبب التوقيعات المفلسة، وكتيبات بها تطورات علمية جديدة مثيرة للرعب.

وأعودُ فأهنئك ثانيةً، فقد قمت بأفضل ما يمكنك القيام به. لقد صارت الحياةُ أكثر تعقيدًا على نحو ميئوس منه، وللدراجة بساطتها وطبيعيتها.

وكنت متأثرًا من كلامه وأنا أردُّ عليه: شكرًا جزيلًا لك. وركبت الدراجة، وتحركتُ بها، وأنا سعيد مفعمٌ بالحيوية، وعلى شفتيَّ أغنية.

رجلٌ اعتاد ضربَ رأسي بمظلة

(1)

إعتاد رجلٌ أن يضربني على رأسي بمظلة، ويحدثُ ذلك منذ خمس سنوات، حتى الآن. لم أستطع أن أوقفه في بداية الأمر، أما الآن، فقد اعتدتُ على ذلك.

إنني لا أعرفُ له اسمًا، ومظهره اعتيادي، ويرتدي حُلَّةً رمادية اللون، وصدغاه رماديان، ولا شيء مميز في وجهه. وقد قابلته ذات صباح خانق، قبل خمس سنوات، حيث كنتُ أجلس على مقعد تظلله شجرةٌ، بحديقة باليرمو، أقرأ الصحيفة، وفجأةً، أحسستُ بشخصٍ يلمس رأسي. كان هو ذات الرجل الذي يواصل، الآن وأنا أكتبُ، وبشكل آليٍّ، وبلا هوادة، ضربي مستخدمًا مظلَّة.

في تلك المرة، استدرتُ ساخطًا، فلم يأبه، واستمر يضربني. سألته هل أنت مخبول، فبدا أنه، حتى، لم يسمعني، فهددتُه باستدعاء شرطي. ظل، كثمرة خيار باردة، محتفظًا بتماسكه، ماضيًا في مهمته. وبعد تردد دام لحظات قليلة، وقد رأيتُ ألاَّ أمل في أن يغير سلوكه، انتفضتُ واقفًا ولكمتُه في أنفه.

سقط الرجلُ على الأرض، وندَّ عنه أنين لا يكادُ يُسمع. ولم يلبث أن عاد، بجهد كبير، واقفًا على قدميه، وبدأ، دون أن ينبسَّ بكلمة، يضرب رأسي بالمظلة، بينما أنا أشعر نحوه بالأسف لأن أنفه كان ينزف. وانتابني ندمٌ

لاضطراري إلى ضربه بهذه القوة، إذ أنه لم يكن يقصد أن يضربني، وإنما أن ينقرُ بمظلته على رأسي، بخفةٍ، دون أن يؤلمني على الإطلاق.

وبطبيعة الحال، فقد كانت تلك النقرات مزعجة للغاية؛ فكلنا يعرفُ أنه إذا حطَّتْ ذبابةٌ على جبينك لا يتسبب عنها أي ألم إطلاقًا، ولكن ما تشعر به هو الانزعاج. إذن، فقد كانت تلك المظلة ذبابة شنيعة، استمرت تهبطُ على رأسي، بانتظامٍ، مرةً تلو أخرى.

ولما تأكد لي أنني أواجه مخبولًا، قررت الفرار؛ غير أن الرجل تبعني، واستمر يضربني في صمت؛ فبدأت أركضُ (وعليَّ أن أشير هنا إلى أنه لا يوجد كثيرون أسرع ركضًا مني)؛ فانطلق ورائي، في محاولة فاشلة لضربي؛ وكان ينفخ لاهثًا وقد تقطعت أنفاسُه، حتى ظننتُ أنني إن جعلتُ مُعذِّبي يجري بهذه السرعة، فقد يخرُّ صريعًا في أي لحظة.

(2)

وكان ذلك سبب تباطؤي وعودتي للمشي. ونظرتُ إليه. لم يظهر على وجهه أي أثر للامتنان، أو التوبيخ، وإنما ظل يضربني على رأسي بالمظلة.

وفكرتُ في أنني إن لجأتُ إلى مركز الشرطة قائلًا للضابط إن هذا الرجل يضربني على رأسي بمظلة، فستكون حالتي غير مسبوقة، مما قد يدعو الضابط لأن ينظر إلى متشككًا، وقد يطلب مني أوراقي الثبوتية، ويبدأ يوجه إليَّ أسئلة محرجة، وربما يقرر في النهاية وضعي قيد الاعتقال.

لذلك، رأيتُ أن أفضل ما أفعله هو أن أعود إلى منزلي، فاستقللتُ الحافلة رقم 67، فركب ورائي، وظل طول الوقت يضربني بمظلة. وجلستُ في المقعد الأول؛ فوقف إلى جواري، ممسكًا بيده اليسرى مقبضًا متدليًا من السقف، وفي يده اليمنى مظلة يواصل ضربي بها بلا ككل.

وتبادل الركاب، في بداية الأمر، ابتسامات خجولة، وراح السائق يراقبنا من خلال مرآة الرؤية الخلفية. ثم لم يلبث كل ركاب الحافلة أن استغرقتهم نوبة ضحك مستمر، بينما أنا أحترق خجلًا، وظل من يضطهدني يضربني، غير متأثر بالضحك.

غادرتُ، أو بالأحرى غادرنا الحافلة عند جسر باسيفيكو، ومشينا في شارع (سانتا في)، والناس تحدِّق فينا بغباء. وخطر لي أن أقول لهم: إلام تنظرون أيها الأغبياء؟ .. ألم تشاهدوا من قبل رجلًا يضربُ آخر بمظلة؟. ولكن خطر لي أيضًا أنهم ربما لم يتيسر لهم رؤية مثل هذا المشهد. ثم بدأ خمسة أو ستة أطفال يطاردوننا، وهم يهتفون بجنون.

وفكرتُ في خطة، ففور وصولنا إلى منزلي، حاولتُ أن أغلق الباب في وجهه، غير أن ذلك لم يحدث. ولابد أنه قرأ ما يدور بعقلي، لأنه استولى بقوة على مقبض الباب، واندفع داخلًا معي.

إنه يواصل، منذ ذلك الوقت، يضربني بمظلته على رأسي. وأستطيع القول بأنه لم يحدث أن نام، أو أكل أي شيء. لم يكن يهتمُّ بشيء إلا أن

يضربني، وكان لا يفارقني في كل ما أفعله، حتى في النواحي الأكثر حميمية.

وأتذكر أن ضرباته كانت، في بداية الأمر، تحرمني النوم طول الليل؛ وأعتقدُ أنه من المستحيل الآن أنه لن يغمض لي جفنٌ في غيابها.

(3)

وكانت علاقاتنا، مع ذلك، غير جيدة على طول الخط؛ وقد طلبتُ منه، في مناسبات عديدة، وبكل اللهجات الممكنة، أن يشرح لي سلوكه تجاهي، دون جدوى، واستمر يضربني، وهو صامت، على رأسي بمظلته. وكنتُ أوجه إليه، في أحيان كثيرة، لكمات وركلات، بل وحتى ضربات بالمظلة، سامحني الله. وكان يسمح لي، بخنوع، أن أضربه. ولعله كان يتقبل ضرباتي كما لو كانت جزءًا من مهمته. وهذا هو، تحديدًا، أغرب جوانب شخصيته: هذا الإيمان الثابت بما يفعله، إلى جانب بعده التام عن روح العداء. وباختصار، هو يعتقدُ في أنه إنما ينفذ مهمة سرية، استجابةً لسلطة أعلى.

وبالرغم من انعدام احتياجاته الفسيولوجية، فأنا أعلمُ أنه يشعر بالألم عندما أضربه؛ وأعلم أنه واهنٌ؛ وهو هالك. كما أعرف أن باستطاعتي التخلص منه برصاصة، وإن كنتُ لا أعرف أيهما أفضلُ لتلك الرصاصة، أن تقتله أو أن تقتلني. كما أنني لا أعرف، في حال موت كِلينا، ما إذا كان سيكف

عن ضربي على رأسي بمظلته. وأيًّاً كان الأمر، فإن التفكير على هذا النحو لا طائل من ورائه، وأنا أدرك أنني لن أجرؤ على قتله أو قتل نفسي. ومن ناحية أخرى، فقد تثبَّتُّ، مؤخرًا، من أنني لا عيش لي في غياب هذه الضربات. ويراودني الآن هاجسٌ، آخذٌ في مغالبتي شيئًا فشيئا. وثمة قلق يأكل روحي. قلقٌ مصدرُه الاعتقادُ في أنني ربما لا أجد هذا الرجل عندما تشتد حاجتي إليه، فيرحلُ، فأفتقد لتلك الضربات التي تساعدني على النوم العميق.

قصةٌ وعِبرةٌ

(1)

لقد كان متسوّلًا صادقًا جدًا مع نفسه.

ذات يومً، دقَّ باب قصرٍ فاخر، فجاءه خادمٌ قال له: نعم يا سيدي .. ماذا تريد أيها الرجل الطيب؟. فردَّ المتسول: اعطني مما أعطاكم الله، محبةً لله. قال الخادم: من واجبي أن أنقل ذلك إلى سيدة المنزل. وذهب إليها يستشيرها، وكانت بحالة شديدة من التعاسة، فقالت له: يا "إرميا"، اعط هذا الرجل الطيب رغيف خبز. رغيفًا واحدًا فقط، ويستحسن أن يكون من أرغفة الأمس.

وكان "ارميا" يحبُّ سيدته سرًّاً، ولكي يرضيها، أتى برغيف خبز انتهت صلاحيته، صلبًا كصخرة، وناوله للمتسول، قائلًا: هذا لك يا رجل يا طيب. ولم يقل (يا سيدي). فأجاب المتسول: بارك الله فيكم.

وأغلق "ارميا" الباب البلوطي الضخم، ومضى المتسول لحال سبيله ورغيف الخبز تحت إبطه، حتى وصل إلى الأرض الفضاء التي يقضي فيها أيامه ولياليه، واستكان إلى ظل شجرة، وما إن بدأ يأكل الرغيف حتى وجد نفسه يعضُّ جسمًا صلبًا، وشعر بأحد أضراسه يتفتت. وكانت مفاجأة رائعة له عندما التقط مع فتات ضرسه خاتمًا رائعًا من الذهب واللؤلؤ والماس.

قال لنفسه: كم أنا محظوظٌ! .. سأبيع هذا الخاتم لتتوفر لي نقود تكفيني زمنًا طويلًا. إلا أن صدقه سرعان ما ظهر، فأضاف: لا .. سأبحث عن صاحب الخاتم وأُعيده إليه.

ووجد بالخاتم حرفين محفورين، يختصران اسمًا، هما (J.X.). وكان سريع البديهة، غير كسول، فانطلق إلى متجر، وطلب استخدام دليل الهاتف، ولم يجد فيه غير عائلة واحدة يبدأ اسمها بالحرف (X)، هي عائلة (زوفاينا).

(2)

عمَّتْه البهجة لأنه استطاع أن يضع صدقه على المحكِّ، وانطلق إلى منزل عائلة (زوفاينا)، وانتابته دهشة كبيرة لما وجده هو ذات المنزل الذي أعطاه رغيف الخبز المحتوي على الخاتم.

وطرق الباب، فأطلَّ "ارميا" وسأله: ماذا تريد يا رجل يا طيب؟. فأجاب المتسولُ: لقد عثرتُ على هذا الخاتم مدسوسًا في رغيف الخبز الذي تفضلتم به عليَّ منذ برهة.

أخذ الخادم الخاتم وقال: ليس عليَّ إلا أن آخذه وأعرض الأمر على سيدة المنزل. وعمَّتْ الفرحةُ السيدة حتى كادت تغنِّي، وهي تصيح: كم أنا محظوظة!. ها أنا ذا وأمامي الخاتمُ الذي كنت قد فقدتُه في الأسبوع الماضي وأنا أعدُّ العجين من أجل الخبز. وهذان الحرفان هما اختصار لإسمي الثنائي " أوسيرمينا زوفاينا".

وتفكَّرتْ هنيهةً، ثم أضافت: إذهب يا ارميا واعط لهذا الرجل الأمين ما يشاء، مكافأةً له، بشرط ألا يكون مكلفًا جدًا. فعاد الخادم إلى الباب وقال للمتسول: أيها الرجل الطيب، قل لي ماذا تريد، مكافأةً لك على ما قمت به من عمل لطيف. قال المتسول: رغيف خبز، لا أكثر، أُسكتُ به جوعي.

وكان " ارميا" لا يزال على حبه لسيدته، ولكي يرضيها، أتى برغيف خبز قديم، صلب كصخرة، وناوله للمتسول، قائلًا: هاك ما طلبتُ أيها الرجل الطيب. بارك الله فيك. وأغلق الباب البلوطي الضخم، بينما المتسول يمضي لحال سبيله، واضعًا رغيف الخبز تحت إبطه، حتى وصل إلى الأرض الفضاء التي يقضي فيها أيامه ولياليه، وجلس مستظلًا بشجرة، وبدأ يأكل رغيفه.

وفجأةً أحس بجسم صلب يصطكُّ بضرس آخر من ضروسه فيحطمه. وما أعظم ما كانت دهشتُه عندما التقط مع حطام ضرسه المكسور الثاني خاتمًا رائعًا آخر، مصنوعًا من الذهب واللؤلؤ والماس.

(3)

وما إن لاحظ، مرة أخرى، الحرفين المختصرين للاسم (X.J.)، حتى أعاد الخاتم إلى " أوسيرمينا زوفاينا"، حيث تلقى كمكافأة رغيفًا ثالثًا جافًا، عثر بداخله على خاتم ثالث قام بإعادته، وتقديرًا له حصل على مكافأة، هي رغيف رابع من الخبز الصلد، وجد به .....وقد عاش المتسول، منذ ذلك اليوم الميمون، وحتى يوم وفاته المشئوم، في سعادة، لا تواجهه ضائقات

مالية. وكل ما كان عليه أن يفعله هو أن يعيد الخاتم الذي يعثر عليه مدسوسًا في رغيف خبزه اليومي.

مسألة إيحاء

يصفني أصدقاءٌ لي بأنني سهل التأثر للغاية، وأعتقد أنهم على حق في ذلك. وللتدليل على ما يقولون به ساقوا واقعةً صغيرة كنتُ أنا بطلها، حدثت في يوم الخميس الماضي.

كنت، في صباح ذلك اليوم، أقرأ رواية من روايات الرعب. وبالرغم من أننا كنا في وضح النهار، فقد وقعتُ ضحيةً لقوة الإيحاء، التي غرست بداخلي فكرة أن بالمطبخ قاتلًا متعطشًا للدماء، وأنه يهددُ ملوِّحًا بخنجر ضخم، منتظرًا دخولي إلى المطبخ، ليقفز فوقي ويغرسه في ظهري.

لذا، وبالرغم من كوني أجلسُ قبالة باب المطبخ مباشرةً، ومن حقيقة أن لا أحد يستطيعُ أن يدلف إلى المطبخ دون أن يقع تحت بصري، وأنه لا سبيل إلى المطبخ إلا من خلال هذا الباب .. بالرغم من كل هذه الحقائق، فقد كنتُ على يقين تام من أن القاتل يكمن خلف الباب المغلق.

إذن، فقد وقعتُ ضحية قوة الإيحاء، ولم أجد الشجاعة لأدخل إلى المطبخ. وقد أزعجني ذلك، لأن موعد وجبة الغداء كان يقترب، ويطلب ذلك مني أن أذهب إلى المطبخ. وهنا، دق جرسُ الباب. صحتُ دون أن أقف: أدخل، فالباب ليس مُغلقًا.

فدخل المشرفُ على البناية ومعه رسالتان أو ثلاثة. قلت: لقد أصاب الخَدَرُ ساقي؛ فهل يمكنك أن تدخل إلى المطبخ وتحضر لي كوبًا من الماء؟. فردَّ: طبعًا. وفتح باب المطبخ داخلًا إليه.

سمعت صرخة ألم، وصوت ارتطام جسم يتهاوى، ساحبًا معه صحافًا وزجاجات، فقفزت من مقعدي، مهرولًا إلى المطبخ. وجدتُ مشرف البناية وقد خرَّ صريعًا، ونصف جسمه فوق طاولة المطبخ، وخنجر ضخم مغروس في ظهره.

وقد هدأتُ الآن، وتمكنت من إدراك أن المطبخ لم يكن به قاتل، وأن المنطق يقول إن الأمر لم يكن يعدو مجرد إيحاء.

لقاء في الطريق

حلَّت ذكرى مولدي في الثامن من نوفمبر، وحسبتُ أن أفضل طريقة للاحتفال بها أن أقوم بإجراء محادثة مع شخص مجهول لي.

وقد حدث، في نحو العاشرة من صباح هذا اليوم، أن استوقفتُ، عند التقاء شارعي فلوريدا وقرطبة، رجلًا أنيقًا، في الستين من عمره، وبيده اليمنى حقيبة أوراق، جعلتني أظنُّ أنه محامٍ أو من الكتبة العدليين. قلتُ له: معذرةً يا سيدي .. لعلك تتكرم وتخبرني كيف أصل إلى (ساحة مايو).

توقف الرجلُ وحدجني بنظرة سريعة، وسألني بإهمال: هل تقصد ساحة مايو أم طريق مايو؟. فقلت له: في الحقيقة، أنا أريدُ أن أذهب إلى ساحة مايو، ولكن إن لم يكن ذلك ممكنًا، فإنني أرضى بأي مكان آخر.

قال: لا بأس، إذن. وكان متلهفًا للحديث، فواصل، دون أن يعيرني أدنى اهتمام، مشيرًا إلى اتجاه الجنوب،: سِرْ في هذا الطريق، واعبر فيامونتي وتوكومان ولافال.

وهنا، أدركتُ أنه مستمتع وهو يردد أسماء ثمانية شوارع عليَّ أن أعبرها، فقررتُ أن أقاطعه: هل أنت متأكد مما تقوله؟.

ردَّ: نعم .. أنا متأكد.

فرحتُ أفسر له: لعلك تسامحني لتشككي فيما قلت، حيث أنني قابلتُ منذ دقائق قليلة لا أكثر سيدًا فاضلًا، اخبرني بأن ساحة مايو فب الاتجاه الآخر.

وأشرت بيدي إلى اتجاه ساحة سان مارتن. فلم يجد رفيق الطريق شيئا يقوله إلا: لا بد أنه ليس من أهل المدينة.

قلت: أيًا كان الأمر، فقد كان الرجل، كما سبق أن قلت لك، سيدًا فاضلًا يشع وجهه ذكاءً، وبطبيعة الحال، فأنا أميل إلى تصديقه هو، لا تصديقك.

فسألني: حسنًا، أخبرني، لماذا تميل إلى تصديقه، لا إلى تصديقي؟.

فقلت: ليست المسألة هي ميلي إلى تصديقه لا تصديقك أنت، ولكن، كما سبق أن ذكرتُ، كانت تبدو عليه سمة الرجال الأفاضل.

قال: ماذا تقول؟ .. هل أفترض أنني أبدو كأحمق؟!.

فصُدِمتُ، وأسرعت أقول: لا .. لا .. لم يقل أحد شيئًا كهذا.

فقال: أنت الذي قلت أن الرفيق الآخر له وجه ذكي.

قلت له: حسنًا .. دعني أُصدِقُكَ القولَ، فقد كان ذلك الرجل يتمتع بمظهر ذكي.

وكان صبر شريك الحوار آخذًا في النفاد. قال: حسنًا يا سيدي، لقد أضعتُ وقتًا كثيرًا، لذلك فإنني أستودعك الله، وأواصل سيري.

فعدتُ أسألُه: طيب .. ولكن كيف أصل إلى ساحة سان مارتن؟.

فاربدَّ وجهه غضبًا، وقال: ولكنك قلت أنك تريد الذهاب إلى ساحة مايو؟!.

قلت: لا .. ليس إلى ساحة مايو، ولكن إلى ساحة سان مارتن .. أنا لم أقل شيئًا بخصوص ساحة مايو.

فأشار، هذه المرة، إلى الشمال، وقال: في هذه الحالة، سر في طريق كالي فلوريدا بعد أن تنتهي من شارع باراجواي.

فاحتججتُ قائلًا: إنك تدفعني للجنون .. ألم تقل لي من قبل أن عليَّ اتخاذ الاتجاه العكسي؟.

ردَّ: كنت تريد الذهاب إلى ساحة مايو.

قلتُ: لم يحدث قط أن تحدثت عن ساحة مايو. ولمَ يكون عليَّ أن أقول ذلك؟. فإما أنك تجهل اللغة، أو أنك تسير نصف نائم!.

تلون وجهه بالأحمر؛ ورأيت يده اليمنى تُحكم قبضتها على الحقيبة، وتمتم بكلمات لا يحسن ذِكرُها هنا، وغادرني في خطوات سريعة لا تخلو من عنف، فانتابني شعورٌ بأنه كان مستاءً إلى حد ما.

مشتغلٌ بالخرافات

(1)

أعيشُ مستفيدًا من معتقدات الآخرين الخرافية، وهو عملٌ شاق للغاية، ولا يدرُّ دخلًا كافيًا. وكانت وظيفتي الأولى في مصنع للمياه المعدنية الفوارة، حيث كان رئيسي يعتقد، ولا أحد يدري لماذا، أن واحدة من آلاف القوارير السيفونية التي تستخرج منها مياه الصودا، لم يحددها، تُخفي القنبلة الذرية. ومن معتقداته أيضًا أن وجود إنسان واحد كافٍ للحيلولة دون انطلاق هذه الطاقة المخيفة.

وكان موظفو المصنع العديدون، يختصُّ كلٌّ منهم بشاحنة؛ وكانت مهمتي أن أظل جالسًا على السطح غير المستوي لزجاجات المياه المعدنية الفوارة، لست ساعات يوميًا، هي مدة توزيع الزجاجات. وهي مهمة شاقة، فالشاحنة تهتز، ومكان الجلوس غير مريح، بل مؤلم، والطريق ممل، وللسائقين صفات عموم سائقي الشاحنات، وبين حين وحين، تنفجر زجاجة سيفونية (لا تكون تلك التي تخفي القنبلة الذرية)، وأصابتني جرَّاء ذلك جروح طفيفة.

وفي نهاية الأمر، قدمتُ استقالتي، بعد أن حلَّ بي الإرهاق، فسارع رئيس العمل وأتى برجل آخر، لا غنى عن وجوده لمنع انفجار القنبلة الذرية.

ولم يمض وقت طويل حتى علمتُ أن عانسًا من (بلجرانو) لديها زوج من السلاحف، وهي تعتقدُ، ولا يدري أحد سبب اعتقادها، أن واحدة منهما، لم تقل أيهما، كانت شيطانًا في هيئة سلحفاة.

ولما كانت تلك العانس، التي لا ترتدي إلا الملابس السوداء، وتستخدم مسبحتها طول الوقت، تعجز عن مراقبتهما باستمرار، فقد وظفتني لأقوم بالمراقبة ليلًا.

وأخذت تفسر لي الأمر، قائلةً: يعلم الجميع أن واحدة من السلحفتين هي شيطان؛ فإن رأيتَ إحداهما وقد بدأت في إنبات زوج من أجنحة التنين، فلا تتقاعس عن إبلاغي، فلا شك أنها هي الشيطان؛ ويكون علينا أن نشعل نارًا في الهواء الطلق، ونحرقها حيَّةً، ليختفي الشيطان من فوق البسيطة.

لم أذق طعم النوم في الليالي الأولى، أراقب السلاحف. ويا لها من حيوانات غبية خرقاء. ثم لم ألبث أن شعرتُ بعدم جدوى حماستي، فكنت، بمجرد أن تدخل العانس إلى فراشها، ألفُّ رجليَّ في بطانية، وانكمشُ في كرسي قابل للطي، وأروحُ أغطُّ في النوم طول الليل. فلم يتيسر لي أن أكتشف أي السلحفتين هي الشيطان.

وفي وقت لاحق، أخبرتُ العانسَ بأنني سأتخلى عن هذا العمل، إذ يبدو أنه قد أساء إلى صحتي أن أبقى مستيقظًا طول الليل.

(2)

ثم حدثَ أن تناهى إلى علمي أن ثمة قصرًا أثريًا في (سان ايزيدرو)، يطل على وادٍ عميقٍ، وأن بالقصر تمثالًا صغيرًا، يصور فتاةً فرنسية جميلة، من نهاية القرن التاسع عشر. وكان مالكًا القصر، وهما زوجان طاعنان في السن، يغطي اللون الرمادي رأسيهما، ولديهما اعتقاد لا يعرف أحد مبعثه، في أن تلك الفتاة كانت حزينة وتهفو للحب، وأنها إن لم تجد حبيبًا فسوف تموت قريبًا.

خصصا لي راتبًا، لأصبح أنا صديقًا للتمثال، فبدأتُ أتصلُ بصاحبته؛ وأفسح لنا العجوزان المجال، وإن كنت أشك أنهما كانا يتجسسان علينا. وكانت الفتاة تستقبلني في صالة الاستقبال المعتمة، ونجلس على أريكة بالية. وكنت أجلب لها الزهور والحلوى والكتب، وأكتبُ لها القصائد والرسائل، وكانت هي تعزف على البيانو برقة، وهي تنظر إليَّ بحنان، وأنا أناديها بيا حبي، وأقبلها بعنف، وأحيانًا أتجاوزُ ما كانت تسمح به فتاة محتشمة طهور تعيش في نهاية القرن التاسع عشر.

وكانت (جيزيل) تبادلني حبًا بحب، وتخفض عينيها وتتنهد قليلًا، تسألني: متى سنتزوج؟. وأجيب: قريبًا. وصحيح أنني كنت أقول لها إنني أدَّخرُ، إلا أنني رحتُ أُؤجل الموعد، بحجة أنني لا أستطيع ادخار الكثير من أجل الزواج؛ فكما سبق أن ذكرتُ، إنك لا تستطيع أن تكسب الكثير من العيش على خرافات الآخرين.

التماسيحُ الراقصةُ

(1)

قد يكونُ تسنَّى لك أن تمرّ بهور كوبيلي، في جنوب شرق السهول الريفية لبيونس آيرس، والمعروف باسم (بحيرة التمساح الراقص)، وهو اسم شائع، بيانيًا وتعبيريًا، وإن كان يفتقد الدقة، حسب قول الدكتور (لودفيج بويتوس)؛ فالهورُ والبحيرة هما، بادئ ذي بدء، حيِّزان هيدرو جرافيان لهما صفات محددة. وثانيًا، فإن البحيرة ليست موطنًا لأي نوع من التماسيح، بالرغم من أن التمساح المعروف باسمه العلمي (كايمان ياكاري) منتشر في كل القارة. كما أن ملوحة مياه البحيرة عالية للغاية، ولا يعيشُ ما يستوطنها من نباتات وحيوانات إلا في البحر. لذلك، فإن العثور على 130 تمساحًا بحريًا في تلك البحيرة لا يُعدُّ أمرًا مُستغربًا.

ويُعتبر التمساحُ البحري، المعروف باسم (كروكوديلاس بوروساس)، أكبر الزواحف المعروفة الآن، ويصل طولُه المعتادُ إلى حوالي سبعة أمتار، ويزن أكثر من طن. ويؤكد الدكتور بويتوس أنه قد عاين العديد من هذا النوع من التماسيح البحرية، على امتداد الساحل الماليزي، ووجد أن طولها يتجاوز تسعة أمتار، والتقط لها صورًا يحتفظ بها، تؤكد وجود هذه التماسيح الضخمة. ولكن يصعبُ أن نحدد بدقة ما إذا كانت لتلك التماسيح الأحجامُ التي ينسبها إليها الدكتور بويتوس، وذلك لغياب مرجعيات من مواقع أخرى.

ويتعذَّرُ، بطبيعة الحال، التشكُّكُ في قول رجل يعمل بمهنة رائعة هي البحث العلمي (بالرغم من الإفراط الزخرفي في لغته)، ولكن الصرامة العلمية تستوجبُ التدقيقَ في إثبات صحة المعلومات.

ولابأس في أن يكون لتماسيح بحيرة كوبيللي نفس الصفات التصنيفية لتلك التي تعيش في المياه المحيطة بالهند والصين وماليزيا، ويصحُّ بالتالي أن تسمى تمساحًا بحريًا، أو (كروكوديلي بوروسي)، وإن كان ثمة بعضٌ من الاختلافات التي يضعها الدكتور بويتوس في قسمين: صفات مورفولوجية، وصفات سلوكية.

ويأتي الحجم في مقدمة القسم الأول، فهو الصفة الأهم، أو قل الصفة الوحيدة؛ فبينما يمكن أن يصل طول التمساح الآسيوي إلى سبعة أمتار، فإن ما لدينا في بحيرة كوبيللي يصل طولُه بالكاد، وفي أفضل الحالات، إلى مترين، مع اعتبار أن القياس يكون من طرف الخطم إلى نهاية الذيل.

(2)

وفيما يتعلَّقُ بالسلوكيات، فإن تمساح بحيرة كوبيللي – حسب قول بويتوس – مغرم بالحركات المتوافقة إيقاعيًا، أو بالرقص، حسب التعبير الأبسط الذي يفضله أهلُ كوبيللي.

وكما يعرف الجميعُ، فإن التماسيح ينتفي أذاها طالما وُجدت على اليابس، فتكون كسرب حمام، ولا تستطيع الصيد والقتل إلا وهي في الماء، فهو أساس فعاليتها. إنها تقبض على فريستها بين فكيها المُسنَّنين، وتقوم

بتدويرها في حركة دوامية حتى تموت الفريسة. وأسنان التماسيح لا تمضغُ، فهي ليست مهيَّأة كلِّيَّةً إلا للقبض على كامل ضحيتها، وابتلاعها.

وإن ذهبنا إلى شواطئ بحيرة كوبيللي وشرعنا في إذاعة الموسيقى، بعد أن نكون قد رتبنا مُسبقًا شيئًا مناسبًا للرقص، فسرعان ما سنرى معظم التماسيح، ودعنا لا نقول كلها، تقفز من الماء؛ وما إن تحطُّ على اليابس فإنها تبدأُ ترقصُ على إيقاع النغمة المُذاعة.

وقد استحقت هذه العظاءة، لكل هذه الأسباب التشريحية والسلوكية، أن يعطيها الدكتور بويتوس اسمًا علميًا، هو (كروكوديلاس بوسيلاس سالتاتور).

إن أذواقها متنوعة وانتقائية، ولا يبدو أنها تميز بين الموسيقى القيمة ذات الطابع الجمالي، وتلك التي تفتقد كثيرا للتميز، فالإيقاعات الشعبية تسعدها بما لا يقل عن المؤلفات الموسيقية الموضوعة للباليه.

وهي ترقصُ في وضعية مستقيمة، محتفظةً بتوازنها على ساقيها الخلفيتين، ليصل متوسطُ طولها إلى متر وسبعين سنتيمترًا. ولكي لا تنزلق على الأرض، فإنها ترفع ذيولُها بزاوية حادة، ليصبح موازيًا تقريبًا لأشواكها. وبالوقت ذاته، فإن الأطراف الأمامية، التي يمكن أن نسميها أيدي، تتابع الإيقاعات بإيماءات متنوعة مضحكة، بينما ترسم أسنانها الصفراء ابتسامة عريضة، تنضحُ حماسًا ورضىً.

ولا ينجذبُ بعضُ سكان البلدة لفكرة الرقص مع التماسيح، بينما لا يشاركُهم كثيرون غيرهم هذا النفور. ومن الثوابت لديهم أنهم، في كل يوم سبت، وعند غروب الشمس، يرتدون ثيابهم الاحتفالية ويتجمعون على شاطئ البحيرة، حيث يعدُّ النادي الاجتماعي في كابيللي كل ما هو ضروري من أجل أمسية لا تُنسى. أضف إلى ذلك إمكانية أن يتناول الناسُ عشاءهم في المطعم الذي تأسس غير بعيدٍ عن حلبة الرقص.

(3)

ولا يمكن للتماسيح الراقصة أن تحتضن جسمَ من يراقصها، فأذرعها قصيرةٌ إلى حدٍّ ما. ويضع من يراقص التماسيح، من رجال مهذبين وسيدات فاضلات، يديه على أحد كتفي مراقصه من التماسيح. ولتحقيق ذلك، يجب أن تمتد ذراعا الرجل أو السيدة إلى أقصى حدٍّ، وعلى مسافة محددة، فخطمُ التمساح واضحٌ تمامًا، يستوجبُ توخي الحذر قدر الإمكان.

وبالرغم وقوع حوادث شنيعة، من حين لآخر، مثل بتر أُذُن أو فقأُ كرة عينٍ أو قطع رأس، فينبغي ألا يغيب عن الأذهان أن أنفاس هذه الزواحف بعيدة تمامًا عن أن تكون جذابة، بسبب ما بين أسنانها من بقايا جِيَف.

وحسب ما تقول به أسطورةٌ كوبيليانية، فثمة جزيرة صغيرة تقع في وسط البحيرة، يعيش بها ملك وملكة التماسيح، ويبدو أنهما لم يغادراها أبدًا. ويقول الكوباليون أن عمر كل منهما يزيد على قرنين من الزمان، وأنهما لم

يرغبا أبدًا في المشاركة في الرقصات التي ينظمها النادي الاجتماعي، وربما يرجع ذلك إلى تقدمهما في السن، أو بسبب ما بينهما من هوى.

ولا تتجاوز اللقاءات الشاطئية منتصف الليل، إذ تكون التماسيح عندها قد بدأت تشعر بالتعب، أو ربما تكون ملَّتْ، إضافة إلى شعورها بالجوع، وهي المحظور عليها أن تقترب من المطعم، فترغب في العودة إلى الماء لتبحث عن طعام.

وعندما تغادر التماسيحُ اليابس عائدة إلى الماء، يرجع السيدات والسادة إلى البلدة وقد نال منهم التعبُ، وربما يشعرون ببعض الحزن؛ إلا أنهم يحدوهمُ الأملُ في أن يترك ملك التماسيح، أو ملكتهم، أو هما معًا، جزيرتهما، في اللقاء الراقص التالي، أو ربما في وقت لاحق، لساعات قليلة، للمشاركة في الحفل. فإن تحقق ذلك، فإن كلاً من الرجال الأفاضل يعيش نوعًا من الوهم، يحرص على مداراته، أن يقع عليه اختيار الملكة ليكون هو مُراقصُها؛ ولا يختلف الأمر عند السيدات اللاتي يحلمن بمراقصة الملك.

طيور طويلة الأرجل[1]

(1)

كتب البروفيسور (فرانز كلام) تقديمًا مُختصَرًا في مجلة (ستيلزفوغل) العلمية، يقولُ فيه إن الدكتور (لودفيج بوتوس) [2] قد انتقلَ من مدينة جوتينجن إلى (هوايلين–ناكوين) وليس له إلا هدف وحيد، هو الدراسة الحقلية لما أسماه بالجاذبية الاستيعابية للطائر طويل الأرجل، المعروف باسم (كاليجويناس)، وهي تسمية تُجمع عليها الدوريات الاسبانية المتخصصة، وسوف نستخدمها هنا.

ويسد ما جاء في تلك المجلة فجوة واسعة في معرفتنا بهذا الموضوع. فلم يكن معروفًا عن كاليجويناس إلا القليل، قبل أن يجري الدكتور بويتوس دراساته المستفيضة، التي شغل عرضُها ثلث حجم ذلك العدد من المجلة. والحقيقة أن المجتمع العلمي كان يفتقد، قبل أن تنشر ستيلزفوغل عن هذا العمل، الأساس الموثوق الذي يمكن أن يُستند إليه عند إجراء مزيد من البحوث؛ فلم يكن ثمة غير دراسات نوعية جزئية أجراها "بولوفيك" و"بالبون" و" لورينسينا"، وغيرهم، شابتْ أعمالَهم ادعاءات مزاجية تفتقد الإسناد.

---

1 – العنوان الأصلي للقصة An Enlightening Book

2 – شخصية متواجدة في قصص كثيرة للكاتب، خاصة تلك التي يرتكز فيها على قضايا علمية.

ويبدأ الدكتور بويتوس عمله بأن يورد فرضية قد تكون مثيرة للجدل، وهي أن السمة الرئيسية للكاليجويناس هي شخصيته القوية للغاية. وهو يستخدم مصطلح (الشخصية) على نحو ما حدده (فوكس) وأتباعه. وهي – ببساطة – شخصية على درجة من الفعالية تجعل غيره من الحيوانات المتواجدة في حضرته تقلده في سلوكه تمامًا.

وتستوطن طيور كاليجويناس بحيرة (هوايلين–ناكوين)، على وجه التحديد، حيث يطيب لها العيشُ، وثمة تقدير لتعدادها هناك يربو على المليون طائر، ويساعد على ازدهارها وجود قانون محلي يجعل صيدها غير قانوني، ومن جهة أخرى، فإن لحمها غير مستساغ كغذاء، وليس لريشها استخدام صناعي. وتشترك مع غيرها من الطيور طويلة الأرجل في الاغتذاء بالأسماك والضفدعيات ويرقات البعوض وحشرات أخرى.

ومع أنها تمتلك أجنحة متطورة جدًا، فنادرًا ما تطير، وإن فعلتْ لا تتجاوزُ حدود البحيرة. ولها نفس حجم طائر (اللقلق)، وإن كانت مناقيرها أكبر قليلًا، كما أنها لا تهاجر. وتتخذ ظهورُها وأجنحتُها اللون الأسود المائل للأزرق، أما رؤوسُها وصدورها وبطونها فصفراء مائلة للابيضاض. والأرجلُ صفراءُ باهتةٌ.

وموئل هذه الطيور بحيرة (هوايلين–ناكوين)، وهي ضحلة ولكن واسعة. ولما كانت البحيرة تفتقد للجسور، برغم وجود عروض كثيرة لإنشائها، فيجد السكان المحليون أنفسهم مضطرين لقطع مسافات طويلة حتى يصلوا إلى

الجانب الآخر للبحيرة. وقد ترتب على ذلك تقديمُ شكاوى للصحيفة المحلية بصورة شبه مستمرة، ولكن بقي الاتصال بين شواطئ البحيرة نادرًا إلى حدٍّ ما.

وقد يتصور مراقبٌ غير مُطَّلِعٍ أن بمقدور السكان عبور البحيرة بسرعة وسهولة إن استخدموا سيقانًا خشبية، أو حتى بدونها، إذ تكاد المياه في أعمق نقطة بالبحيرة تصلُ إلى خصر رجل متوسط الطول.

وربما يكون السكان المحليون قد أدركوا – ربما بالبداهة، لا أكثر – القدرة الاستيعابية للكاليجويناس، فحقيقة الأمر هي أنهم يفضلون ألا يعبروا البحيرة، مختارين بدلًا من ذلك، كما سبق أن أوضحنا، الالتفاف حولها، إذ أنها محاطة بطريق اسفلتي ممتاز.

(2)

واستمرَّ، برغم ذلك، تأجيرُ السيقان الخشبية للسائحين، ليصبح الجانبَ الأهم الوحيد في اقتصاد (هوايلين–ناكوين)، وهو وضعٌ قد يكون مُبرَّرًا، نظرًا لندرة الموارد الأساسية في المنطقة. إلا أنه، مع عدم وجود منافسة حقيقية، وغياب التسعيرة الرسمية، أصبح تأجير السيقان الخشبية عملًا باهظ التكاليف فعلًا، فلم يجد العاملون في هذا المجال بُدًا من رفع الأسعار التضخمية إلى مستويات جسيمة، كطريقة وحيدة لتعويض خسائرهم المُحقَّقة.

والواقع أن ثمة نظامًا محدودًا بدرجةٍ ما، في (هوايلين–ناكوين)، يُلزمُ المحلات التي تؤجر السيقان الخشبية بأن تُعرضَ لافتةً مكتوبة بحروف كبيرة، وتوضع في مكان مفتوح، تحذِّرُ من أن استخدام السيقان الخشبية قد يؤدي إلى تغيرات نفسية خطيرة نوعًا ما.

ولا يميلُ السياحُ، بعامةٍ، إلى أخذ مثل هذه التحذيرات في الاعتبار، ويتعاملون معها، في معظم الأحيان، على أنها مُزحة. وتجدرُ الإشارةُ إلى أمر بسيط، وهو أنه لا سبيل إلى التأكد من أن كل السائحين يقرأون هذه التحذيرات، حتى عندما يمتثل أصحاب المحلات للنظام، كما هو حادث فعلًا بصورة لا تُنكر، ويضعون التحذيرات في أماكن واضحة للغاية.

والواضح أن السلطات لا مرونة لديها في هذه النقطة. وصحيحٌ أن حملات التفتيش لا تجري على نحو متواتر، كما أنها تكون مسبوقة بتحذير يتم إرساله قبل قيامها بدقائق قليلة، غير أنه معروفٌ عن المفتشين مراعاةُ الضمير في القيام بمقتضيات وظائفهم؛ وربما كان من قبيل المصادفة، لا أكثر، عدمُ وجود حالة واحدة مسجلة لصاحب متجر عوقب وفقًا لهذا النظام.

وما إن يحصل السائحون على السيقان الخشبية، يتوجهون إلى بحيرة هوايلين–ناكوين، إما فُرادَى، أو في مجموعات تثرثر مبتهجة، مكونة من اثنين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة، مستهدفين الوصولَ إلى الشاطئ

المقابل، حيث يمكنهم أن يشتروا علب أسماك رائعة بأسعار معقولة جدًا، ويمثل هذا المنتج المصدر الرئيسي للدخل لسكان ذلك الجانب من البحيرة. ويتقدم السائحون، في أول مائتين أو ثلاثمائة متر من البحيرة وهم يضحكون ويتصايحون في حبور، ويتبادلون النكات، ويُخيفون الكاليجوينات، وهي مخلوقات عصبية للغاية، مثلها في ذلك مثل كل الطيور طويلة الأرجل. ولا تلبث ضجة السائحين أن تخف تدريجيًا وهم يخوضون مياه البحيرة الأعمق فالأعمق، بينما تزداد كثافة أعداد الكاليجوينات مترًا بمتر، وسرعان ما تبلغ كثافتها حدّاً يعوق تقدم السائحين، كما أنها تكف عن الهرب والتحليق بعصبية. ويبدو أنها – مع تزايد أعدادها – تزداد ثقةً، وإن كان من الممكن تفسير سلوكها بحقيقة أن معظم أشكال الحركة، في هذه الأثناء، يصبح مستحيلًا جسديًا.

وأيًّاً كان الأمرُ، فإن لحظة تجيئُ، يُصبح الصياحُ فيها غير مُجدٍ، وتبرز الحاجةُ إلى استخدام العُصِي والأيدي لإبعاد الكاليجوينات.

وفي ذلك الحين، يرضى السائحون بقليل من الأرض، كما أنهم لا يلبثوا أن يصمتوا، ويكفون عن إطلاق النكات والضحكات. وعندها، فقط وليس قبل ذلك، يتناهى إلى أسماعهم صوت طنين يتصاعد من حلوق آلاف الكاليجوينات، ويملأ البحيرة بأكملها. وهو صوتٌ لا يختلف في طبيعته كثيرًا عن صوت الحمام، وإن كان أشد كثافةً بكثير. وهو يدخلُ إلى آذان

السائحين، ويتردد بداخل رؤوسهم، ويستولى على عقولهم بأكملها، حتى أنهم يبدأون تدريجيًا في إصدار طنين.

ويكون طنينهم، في بادئ الأمر، تقليدًا رديئًا لطنين الطيور، إلا أنه سرعان ما يصبح من المستحيل التمييز بين طنين البشر وطنين الكاليجوينات. وإذ ذاك، يحدث، في كثير من الأحيان، أن يبدأ السائحون في معايشة إحساس بالاختناق، ولا يمكنهم تبيُّنُ أي شيء، في مدى رؤية أعينهم، غير الكاليجوينات، ثم لا يلبثوا أن يفقدوا القدرة على التمييز بين الأرض ومياه البحيرة. وكانوا يرون في كل الاتجاهات منظرًا متكررًا بلا نهاية، ورتيبًا، لصحراء ملونة بالأبيض والأسود، ومكونة من أجنحة ومناقير وريش.

ويوجد بين السائحين، في العادة، وخصوصًا عندما يتواجد عدد كبير منهم في البحيرة، فرد واحد يدرك مدى الحكمة والتوافق في العودة إلى هوايلين–ناكوين والتضحية بالمرتقب من جولات شرائية للأسماك الرائعة، معقولة الأسعار، من الشاطئ المقابل.

(3)

ولكن، أين هو الشاطئ المقابل؟. وكيف تتيسر لهم العودةُ إن كانوا قد فقدوا كل تصور للاتجاه الذي قدموا منه؟. وكيف يستطيعون الرجوع في غياب أي نقاط مرجعية، واصطباغ كل الأشياء بالأبيض والأسود، في مشهد متكرر بلا نهاية، مكون من أجنحة ومناقير وريش؟. ويا للعيون! .. مليونا عين وامضة.

ومع أن كل الدلائل تقولُ بأن العودة لم تعد خيارًا، فإن سائحًا، هو الأكثر صراحةً، أو بالأحرى الأقل هدوءًا، يقدم لرفاقه بعض النصائح المثيرة للشفقة، فيقول: أيها الأصدقاء، دعونا نعود بالطريقة التي أتينا بها!. ولكن رفاقه لايمكنهم تفهم نعيبه عالي النغمة، المغاير تمامًا للطنين الرقيق الذي اعتادوا عليه الآن.

وإذ ذاك، وحتى إن هم ردوا بنفس أصوات النعيب المبهمة، فإنهم يدركون في قرارة أنفسهم حقيقة أنهم بشريون. وعلى أية حال، فإن الخوف يكون قد أصابهم بالتشوش، فيبدأون ينعبون في وقت واحد. وللأسف، فإن هذه الجوقة من الناعبين تفتقر لمحتوى ذي معنى، وحتى إذا أرادوا أن يكون لها معنى، فإن السائحين لم يعودوا يستطيعون أن يتناقلوا ما لديهم من فكر حاسم ونهائي، بأنهم كلهم كاليجوينات.

وكان شيوخُ مجتمع الكاليجوينات، حتى هذه اللحظة، قد التزموا الصمت عن قصد، فيبدأون الآن في النعيب بكل قوتهم. إنه نعيب المنتصرين، وصرخة النصر التي تبدأ من تلك الدائرة الداخلية وتنتشر بسرعة وصخب، بطول وعرض البحيرة، وإلى ما وراء حدودها، حتى أبعد منازل في البلدة القريبة.

ويضع السكان المحليون أصابعهم في آذانهم وهم يبتسمون. ولحسن الحظ، فإن الضوضاء لا تكاد تستمر إلا لنحو خمس دقائق. وما إن تتوقف

تمامًا، يعود التجار إلى تصنيع الكثير من أزواج السيقان الخشبية، مع دخول السائحين إلى البحيرة.

فيلٌ على خِنصَري[1]

(1)

عندما حاولتُ، في يوم الخامس والعشرين من شهر يوليو، أن أُدُقَّ الحرف (A) على آلتي الكاتبة، لاحظتُ وجودَ بثرةٍ بسيطة على خنصر يدي اليسرى؛ وفي يوم سبعة وعشرين، بدت أكبر على نحو واضح. وفي الثالث من أغسطس، تمكنتُ – مستعينًا بعدسة صائغ مجوهرات مكبرة – من تمييز شكلها، ووجدتُه أقربُ إلى فيلٍ مُصغَّرٍ. صحيحٌ أنه أصغر فيل في العالم، ولكنه فيل بأدق تفاصيله؛ وكان عالقًا بإصبعي من عند نهاية ذيله الصغير؛ ولذلك، ففي حين أنه كان حبيسًا في خنصري، إلاَّ أنه كان حر الحركة، وإن لم يكن ليستمتع بحرية حركته ما لم تكن مرهونة تمامًا بإرادتي.

وبعد تردد وتخوُّفٍ، عرضتُه على أصدقائي متفاخرًا، فاشمأزُّوا قائلين إنه ليس أمرًا طيبًا أن يكون لديَّ فيل على خنصري، ونصحوني باستشارة طبيب أمراض جلدية؛ فحقَّرتُ ما قالوا به، ولم أستشر أحدًا، وقطعتُ علاقتي بهم، وتفرَّغتُ بكاملي لدراسة تطور الفيل.

لقد أصبح، قرب نهاية أغسطس، فيلًا رماديًا صغيرًا وسيمًا حقًا، له طول إصبعي الخنصر، وإن كان أغلظ قليلًا. وكنت ألعب معه طول اليوم.

---

1 – العنوان الأصلي للقصة: (Essence And Attribute)

وكان يسعدني في بعض الأحيان أن أُشاكِسه وأدغدغه وأعلمه القيام ببعض الحركات الجمبازية والقفز فوق موانع صغيرة، كعلبة ثقاب ومبراة وممحاة.

وكان من المناسب، إذ ذاك، أن يتم تعميدُه. وفكرتُ في عديد من التسميات التي تبدو غير مستساغة وتقليدية، مثل دومبو وجامبو ويومبو، وأخيرًا اكتفيت بتسميته بالفيل، لا أكثر. واستهواني إطعامُه، فكنتُ أنثرُ له على الطاولة فتات خبز وأوراق الخس وقطعًا من أعشاب؛ وأضع هنالك عند الحافة قطعة من الشوكولاتة، كمكافأة له إن أحسن الاستجابة. وعرف الفيلُ الكفاح من أجل الحصول على المكافأة، التي لا يمكنه الوصول إليها إن أقفلتُ يدي بقوة، وقد أكدتُ بهذه الطريقة حقيقة أن الفيل لم يكن سوى جزء من نفسي، هو أضعف جزء.

ولم يمض إلا وقت قصير ليصل الفيل إلى حجم فأر، ولم يعد باستطاعتي السيطرة عليه بسهولة. وأصبح خنصري على درجة من الضآلة لا يستطيع معها تحمل نزقه.

(2)

وكنت لا أزال غير مدرك أن هذه الظاهرة لا ترجع إلاَّ إلى نمو الفيل. ولم أكن أبالي بهذه الفكرة، حتى وصل الفيل إلى حجم حَمَل. وفي ذلك اليوم، كنت أنا أيضًا في حجم حَمَل.

وكنتُ، ذات ليلة، وفي ليالٍ قليلة أخرى أيضًا، أنام على بطني، ويدي اليسرى ممدودة خارج الفراش، وكان الفيل ينام إلى جانبي على الأرض. واضطُررتُ، بعد ذلك، للنوم فوق الفيل، ووجهي متجه لأسفل، ورأسي على رِدفِه، وقدماي على ظهره. وسرعان ما وجدتُ أن جزءًا من وركه فيه الكفاية. يلي ذلك ذيلُه، ثم آخر الذيل، حيث لم أكن أكثر من بثرة غير محسوسة على الإطلاق.

عندئذٍ، خشيتُ أن أختفي، وأتوقف عن التحقق، ولا أصبح إلا ملليمتر، لا أكثر، من ذيل فيل. وقد انتفى ذلك الخوف فيما بعد، واستعدتُ شهيتي. وعرفتُ كيف أُطعمُ نفسي ببقايا فتات الخبز، وبعض من حبوب الطيور، مع قطع من العشب، وربما يكون معها حشرات مجهرية.

وقد حدث ذلك، بطبيعة الحال، من قبل؛ أما الآن، فقد تيسر لي أن أحتل مساحةً أستحقها على ذيل الفيل.

بالطبع كان هذا من قبل. لقد عملتُ الآن على احتلال مساحة مستحقة على ذيل الفيل. وصحيح أنني عشوائي، ولكنني أستطيعُ الآن التحصل

على قطعة بسكويت كاملة ومراقبة زوار حديقة الحيوان وأنا متخفٍّ وفي مأمن.

وأنا متفائل جدًا في هذه المرحلة من اللعبة، وأعلم أن الفيل قد بدأ يتقلص. لذلك، أجدني ممتلئًا بمشاعر تفوق منتظرة من قِبلِ المارة غير المكترثين، ومن يلقون قطع البسكويت إلينا، وهم لا يصدقون إلا الفيل الماثل أمامهم، دون أن يتشككوا في أنه ليس أكثر من صفة مستقبلية للجوهر الكامن، الذي لا يزال منتظرًا.

عقابُ الحِملان [1]

(1)

تؤكدُ مصادرٌ متنوعة وموثوقٌ بها تمامًا، على أن حملات عقاب البشر، التي تقوم بها الحِملانُ، قد شاعت على نحو متزايد في أجزاء من بوينس آيرس والمنطقة المحيطة بها. وتتفقُ كلُّ التقارير في وصفها للعملية: إذ يظهر، فجأةً – ويمكنك أن تقول من الفراغ – خمسون حَمَلًا أبيضَ، تشن هجومًا مباغتًا على ضحيتها البشرية، التي تكون قد وقع اختيارُها عليها مُسبَقًا، وتلتهمها في ثوان معدودة، ولا تترك منها إلا الهيكل العظمي، ثم لا تلبث أن تتفرق – على نحو ما ظهرت – فجأة، وكان الله في عون من يحاول منعها من الهرب.

وكانت حالات مميتة كثيرة قد سُجِّلتْ قبل أن يصل إلى علم أبطالها المُرتقبين ما انتهت إليه مصائر من سبقوهم. ولا يجرؤ أحدٌ في أيامنا هذه على معارضة عمليات العقاب.

وليس ثمة جدوى من الخوض في تفاصيل هذه الظاهرة، فقد صار الناس على دراية كبيرة بالحقائق، بفضل وسائل الإعلام، وأصبحت الصور والشرائط التوثيقية متاحة على نطاق واسع. إلاَّ أن معظم الناس قلقون بشأن عملية العقاب وعواقبها.

---

1 – العنوان الأصلي للقصة: Chastisement By The Lambs

وعلى أي حال، فإن غالبية الناس يتسمون بالبساطة، وينقصهم التعليمُ والقدرة على التبصُّر، وينحصر اهتمامُهم في الرغبة في انتفاء عملية العقاب. بالطبع فإن هذه الرغبة لا تضع حدًا لهذه العملية، كما أنها لا تكفي لتحديد دوافعها أو سبب وجودها.

ويتمثل الخطأُ الأساسي لهؤلاء الناس في أنهم، وهم بحالتهم من الانغماس في وقائع عملية العقاب ذاتها، قد نسوا الضحايا.

إن ما جعل النوم يجافيني، خلال المائة عملية إعدام الأولى، تقريبًا، هو الوجود الذي لا يُدحَض للحملان، التي لم تكن لاحمات، فقط، ولكن مفترسات، وشغفها بلحوم البشر. وعلى أية حال، فقد لاحظتُ فيما بعد أن التركيز على هذه التفاصيل جعلني أهمل أمرًا أساسيًا، وهو شخصيات الضحايا. وقد دفعني ذلك إلى أن بدأتُ أدقق في حيوات المتوفين، وقد استعرت أسلوب باحثي علم الاجتماع، فبدأتُ بما هو أولي، وأعني به البيانات الاجتماعية الاقتصادية، فتبين لي أن الإحصائيات عديمة الفائدة، فالضحايا ينتمون إلى كل الطبقات الاجتماعية والاقتصادية.

وقررت أن أغير ركيزة بحثي، فبحثتُ عن أصدقاء وأقارب الضحايا، الذين قدموا لي في النهاية المعلومات ذات الصلة بهذا الشأن. وكانت أقوالهم متنوعة، وأحيانًا متناقضة، ولكنني بدأت، شيئا فشيئا، أسمع نوعًا محددًا من العبارات، يتكرر ترديدها أكثر فأكثر، مثل: (دع الرجل المسكين ينام في سلام، ولكن الحقيقة هي أن ....).

(2)

وواقع الأمر أنني كرهتُ "نافاريو"، ولم أكن أود أن تلوث هذه المشاعرُ الموضوعيةَ الخالصة لهذا التقرير، إلاَّ أنني، أجدني مضطرًا لأن أسمح لنفسي باستطراد ذي طبيعة شخصية، من أجل تقديم شرح متكامل للظاهرة. وبالرغم من أن ذلك قد لا يهم أي شخص، فإنه تحوُّلٌ أراه ضروريًا ليتمكن الناس من الحكم على مدى صحة فرضيتي المتعلقة بالأحوال التي أفضت إلى ظاهرة الحِملان. وأورد الاستطراد كالآتي:

لقد تزامنت ذروة أعمال العقاب، فعلًا، مع فترة مفزعة من حياتي، كابدتُ فيها الفقر والتشوش والحزن، حتى شعرتُ بأنني في قاع بئر عميقة مظلمة، غير قادر على تصور أي مخرج.

هكذا شعرتُ، في حين أن "نافاريو" ... حسنًا، قد أقبلت عليه الدنيا، وهذا أمر طبيعي، فقد كان الهدف الوحيد لوجوده الشرير هو المال. كان همه الوحيد هو كنز الأموال، من أجل الأموال؛ ولتحقيق هذا الهدف المقدس، حشد كل ما لديه من طاقة لا ترحم، دون اعتبار للآخرين. ولا أجدني بحاجة لأن أقول أنه كان ناجحًا للغاية، فالحقيقة هي أن "نافاريو" كان، بالفعل، من يمكن أن تطلق عليه صفة (المتحقق).

وكما سبق أن ذكرتُ، فقد كنت في ذلك الوقت فقيرًا جدًا، ومن السهولة بمكانٍ أن يُستغلَّ أيُّ شخصٍ يعاني. وكان نافاريو، ذلك النسر الجشع، الذي لم يقرأ كتابًا في حياته، يعمل محررًا؛ وكنت قد اعتدتُ – من باب

الرغبة في تحسين الأحوال – أن أقوم ببعض أعمال الترجمة والمراجعة اللغوية لحسابه. ولم يكن نافاريو يُبخسني أجري فقط، وإنما كان يسره أيضًا إذلالي بالأعذار والتأخير في الدفع.

(3)

(لقد كانت مكابدة سوء المعاملة والفشل جزءًا من شخصيتي، وقد استسلمتُ إليهما). ولما سلمتُه آخر مجموعة من العمل، وكانت ترجمة مرهقة بشعة، قال لي نافاريو، على نحو ما كان يفعل في مناسبات أخرى كثيرة: لا أستطيع، لسوء الحظ، أن أدفع لك اليوم، فليس معي قرش واحد. وقد أخبرني بذلك في مكتبه الفخم، وعليه أبهى الثياب، ورائحة العطر تفوح منه، وقد رسم على وجهه ابتسامة، ألم أقل لكم أنه (المتحقق)؟!

وفكرتُ في حذائي المتشقق وملابسي البالية والاحتياجات الملحة لأسرتي وما يثقلني من ألم، فبذلتُ جهدًا لأقول له: ومتى تظنُّ ..؟. فكانت إجابته بنبرة متفائلة متحفظة، كما لو كان يحاول أن يساعدني: دعنا نأمل خيرًا. ويستطردُ قائلًا: لن يكون ذلك بمقدوري يوم السبت، حيث سآخذ راحة قصيرة أقضيها على شواطئ ريو، فلعلك تأتي إلى منزلي في حوالي الساعة الحادية عشر من صباح السبت التالي، لنقوم بتسوية هذا الحساب الصغير. وصافحني بحرارة، وربت على كتفي مُشجعًا في مودة.

ومرَّ أسبوعان، وذهبتُ إليه يوم السبت في منزله الكائن بشارع الأول من سبتمبر الجميل، حيث جعلتني خضرة الأشجار، مع رائحة النباتات،

وإشراقة السماء، وجمال المنطقة، أشعر بالخواء على نحو أشد؛ ودققت جرس الباب في الحادية عشرة وخمس دقائق. خرجت خادمة في زي رسمي لتخبرني بأن سيدها يخلد للراحة؛ فترددت لحظةً، ثم سألتها: وسيدة المنزل؟. فسمعتُ صوتًا يسأل: من بالباب يا روزا؟. فرفعت صوتي قائلًا: أنا يا سيدتي. هل السيد نافاريو موجود بالمنزل؟.

(4)

اختفت روزا بالداخل، وحلَّ محلها وجه زوجة نافاريو المغطى بمستحضرات التجميل. فسألت بنبرة صوت كأنه لرجل أعمال ثقيل يدخن سيجارًا: ألم يقال لك إن السيد يخلد للراحة؟. قلت: نعم يا سيدتي، غير أن بيننا موعدًا في الحادية عشرة. أجابت بطريقة قاطعة: نعم، ولكنه بدأ في الراحة توًّا. فتساءلت متغابيًا، وكأنني لا أعرف من هو نافاريو: لعله ترك شيئًا لي. ردت: لا. فقلت: ولكن بيننا موعدًا. فقالت: أقول لك أنه لم يترك شيئًا يا سيدي، فكف عن إزعاجي.

في تلك اللحظة، سمعت صوت هرج ومرج، وشهدتُ وصول الحِملان. فتنحيتُ جانبًا، وارتقيت السياج لأكون بأمان أكثر، برغم أن هاتفًا بداخلي كان يقول لي إن الحملان لا تبحث عني. واندفعت الحملان كإعصارٍ مقتحمة الحديقة الأمامية، وقبل أن يصل آخرها كان المتقدمون قد دخلوا إلى المنزل فعلًا. وفي ثوان معدودة، امتص باب منزل نافاريو كل

الحملان، مثل مصرف حوض يبتلع الماء، بعد أن داست أقدامهم أرض الحديقة وخربت نباتاتها.

وأطلَّت السيدة نافاريو من نافذة مصممة بشكل رائع، وقالت: تعال يا سيدي .. تعال. كانت تتوسل دامعة العينين، محتقنة الوجه: من فضلك، ساعدنا يا سيدي.

ودفعني الفضول للدخول. رأيت الأثاث مقلوبًا، وقد تحطمت المرايا. ولم أستطع رؤية الحملان. وأبلغتني السيدة نافاريو بأنها في الطابق العلوي، وراحت تسحبني في اتجاه الخطر، وهي تقول: إنها في حجرتنا، فافعل شيئًا ولا تكن جبانًا، وتصرف كرجل.

(5)

تمكنت من مقاومتها بقوة، فلا شيء يمكن أن يخالف مبادئي أكثر من معارضة عقاب الحملان. وكان بالمستطاع سماع أصوات متنافرة مشوشة لوقع الحوافر، قادمة من الطابق العلوي، ورؤية ظهور مستديرة، مكسوة بالصوف تهتز منتشية، يصاحبها بعض حركات قوية، تتعامل مع جسم غير مرئي، داخل الكتلة.

لقد تحققت من نافاريو للحظة عابرة، وكان فزعًا مرتعبًا، يصرخ بشيء ما ويحاول مهاجمة الحملان بكرسي. ولم يلبث أن غرق في لجة من صوف أبيض مجعد، مثل شخص تُغيِّبُه رمالٌ متحركة.

ثم حدث اضطراب آخر، وضوضاء متصاعدة من فكوك تمزق وتطحن، ومن حين لآخر أصوات رقيقة وحادة لعظام تتكسر. وعرفتُ من خلال بداية مناورات الانسحاب أن الحملان قد أنجزت ما جاءت من أجله؛ وبعد فترة وجيزة، كانت الحيوانات الصغيرة تنزل الدرج بسرعة. واستطعت أن أرى بعض بقع من دماء على بياض صوفها الناصع.

ومن الغريب أن تلك الدماء، التي هي عندي بمثابة البرهان الأخلاقي، قد أطارت لبَّ السيدة نافاريو، فراحت توجه إليَّ الإهانات من خلال دموعها، وتنعتني بالجبن، واندفعت خارجة من غرفة المعيشة وبيدها سكين كبيرة.

ولما كنتُ أعرف جيدًا مصير من يحاول إعاقة الحملان عن أداء مهمتها، فقد بقيتُ واقفًا بكل احترام في الخلفية، أراقب المشهد القصير الغريب لتمزيق وابتلاع السيدة نافاريو.

وبعد ذلك، غادر الحملان الخمسون شارع الأول من سبتمبر، ولم يلبثوا أن هربوا بالتشتت في أنحاء المدينة، كما هو الحال في مناسبات أخرى.

ولم تتأثر روزا، الفتاة ذات الابتسامة، بما حدث إلا قليلًا، وقد جاملتُها ببعض كلمات مريحة قبل أن أغادر المكان وقد انتفت عندي الكراهية. ومع أنني لم ولن أتمكن من تحصيل أجري من نافاريو عن تلك الترجمة المرهقة البشعة، إلاَّ أن قلبي، مع اخضرار الأشجار، ورائحة النباتات، وإشراقة السماء، وبهاء المنطقة، قد أُترع فرحًا؛ فبدأتُ أغنِّي.

(6)

وقد عرفتُ، حينها، أن البئر الحالكة التي كنت أغرق فيها قد بدأت تضيئ بأول شعاعات من أمل.

فشكرًا لك يا حملان العقاب.

الأرنب أوشوايا

(1)

فرغتُ توًّاً من قراءة صحيفة ورد بها ما يلي: "نجحت مجموعة من العلماء الأرجنتينيين، بعد شهور طويلة من المحاولات العقيمة وعديد من البعثات الاستكشافية، في العثور على أرنب من نوع أوشوايا، كان يُظنُّ أنه انقرض منذ أكثر من قرن. وكانت المجموعة، التي يقودها الدكتور أدريان برتوني، قد اصطادت الأرنب في واحدة من الغابات العديدة المحيطة بمدينة باتاجونيانا [1]

وكان يجدر بي، وأنا أفضل التفاصيل على العموميات، وأميل للدقة لا للأفكار سريعة الزوال، أن أقول: "في واحدة من تلك الغابات القريبة من عاصمة تييرا ديل فويجو[2]. ولكن يتعذر أن تجد دماءً في اللفت، أو أي درجة من الذكاء، إطلاقًا، عند صحفيين.

إنني أنا الدكتور أدريان برتوني، ولا أدري لم أخطأوا في كتابة إسمي؛ فإسمي الصحيح هو "أندريه برتولدي"، وأنا – في الحقيقة –

1– منطقة تقع في أقصى جنوب القارة الأمريكية الجنوبية، ويتقاسم السيادة فيها كل من الأرجنتين وشيلي.

2– إحدى محافظات الأرجنتين. يفصلها مضيق ماغلان عن بقية أراضي الأرجنتين

حاصل على درجة الدكتوراة في العلوم الطبيعية، ومتخصص بعلم الحيوان، والانقراض، والأنواع من الكائنات الحية المهددة به.

والأرنب أوشوايا، في حقيقة أمره، لا ينتمي للأرنبيات، وهو أدنى بكثير من أن يكون قطًا. وليس من المؤكد أن موطنه غابات تييرا ديل فويجو. والأكثر من ذلك أنه ليس النوع الذي كان يعيش في جزيرة لوس إستادوس. والأرنب الذي حصلتُ عليه، بمفردي، دون أي معدات، وبلا مساعدة من أي إنسان، ظهر في مدينة بوينس آيرس، بالقرب من جسر سكة حديد سان مارتن، الذي يمتد موازيًا لشارع خوان ب. جوستو، وهو يقطع شارع سولير، في منطقة باليرمو.

ولم يكن في نيتي البحث عن الأرنب أوشوايا، إذ كانت لي مشاغل أخرى، وكنت – وأنا كاسف البال إلى حد ما – أقصد ممر المشاة في شارع خوان ب. جوستو. وكان الجو حارًا، وورائي مهمة غير سارة، ولا أقول مقلقةً، أقوم بها في مصرف بممر سانتا–في. ويوجد بين الجسر وممر المشاة سياج شبكي مدعوم بجدار منخفض؛ وقد لمحتُ الأرنب أوشوايا على الجانب الآخر من السياج. وقد تحققتُ منه فور أن رأيته، وكان ذلك أمرًا طبيعيًا. ولكن ما أدهشني هو أنه، في الحقيقة، كان باقيًا في مكانه، فهو في أحواله الاعتيادية حيوان وثَّاب ومقلقل. فخشيتُ أن يكون مصابًا بجروح.

وبصرف النظر عن حالته، قمت بالتراجع لأمتار قليلة، وتسلقتُ السياج، ثم دلَّيتُ جسمي إلى الأرض، على نحو ما تفعل القطط. وتقدمتُ خِلسةً، وأنا خائف من أن يفر الأرنب أوشوايا في أي لحظة، ومن يستطيع أن يمسك به إن فرَّ؟. إنه واحد من أسرع المخلوقات، ولا يفوقه سرعةً، من حيث القيمة المطلقة، وليس من الناحية النسبية، إلا الفهد.

(2)

التفت الأرنب أوشوايا شاخصًا إليَّ، ولم يفر، على عكس ما توقعت، وبقي ماكثًا في مكانه، لا يهتز فيه إلا حزمة من الشعر الفضي، كأنها تتحداني. وخلعتُ قميصي وانتظرتُ، جامدًا بلا حراك، عاري البشرة، وظللت أردد: اهدأ .. اهدأ .. اهدأ. وعندما أصبحت على مقربة منه، طرحتُ القميص ببطء، كما لو كان شبكةً، ثم – فجأةً وبحركة سريعة واحدة – وضعته على الأرنب، أحطُّه به، في لفافة أنيقة. وعقدتُ الأكمام وذيل القميص عقدةً قوية، مكنتني من أن أحمل الصُّرَّةَ بيدي اليمنى، بينما اليسرى تعالج أمر السياج، فاجتزته من جديد، عائدًا إلى الرصيف.

ولم أستطع، بطبيعة الحال، أن أذهب إلى البنك بدون قميص، ناهيك عن وجود الأرنب أوشوايا بصحبتي. وهكذا، توجهتُ إلى المنزل، وفيه شقتي بالطابق الثامن، وتطل على شارع نيكاراجوا، بين كارانزا وبونبلاند. وفي الطريق، ملتُ إلى متجر للتجهيزات، اشتريتُ منه قفص طيور كبير الحجم.

كان البواب يغسل الرصيف أمام البناية، ورآني وأنا عاري الصدر، وفي يساري قفص، وفي يمناي ربطة بيضاء لا تكف عن الحركة، وكانت نظرته تحمل الدهشة أكثر من الاستنكار. ولسوء حظي، كانت إحدى الجارات تتبعني من الشارع حتى دخلت إلى مصعد البناية، وكانت تسحب بيدها جروًا صغيرًا قبيحًا مثيرًا للاشمئزاز، ما إن تعرَّف على رائحة الأرنب أوشوايا، التي لا تشعر بها الأنف الآدمية، حتى انطلق في نباح يصمُّ الآذان. ولم أتمكن من تخليص نفسي من تلك المرأة وكابوسها المخيف إلا بوصول المصعد إلى الطابق الثامن.

دخلتُ إلى شقتي وأغلقتُ الباب، وأعددتُ القفص، وبدأتُ أفك القميص بعناية فائقة، محاولًا عدم إزعاج أو التسبب في إيذاء الأرنب أوشوايا. وعلى أي حال، فقد أغضبه احتباسه بالقفص، فلما فتحت له بابه، عجزتُ عن جعله يتوقف عن ضرب ذراعي بشوكة من كفه.

وكنتُ حاضر الذهن بما يكفي ليجعلني لا أدع الألم يدفعني لأن أتركه لحال سبيله؛ وأخيرًا تمكنت من أن أحاوره وأناوره، حتى عاد إلى القفص.

(3)

وفي الحمام، غسلتُ الجرح بالماء والصابون، منتهيًا بالكحول الطبي. ثم خطر ببالي أن أتوجه إلى صيدلية لآخذ حقنة مضادة للتيتانوس، ففعلتُ

علـى عجـل. وغـادرتُ الصـيدلية متوجهًـا مباشـرة إلـى المصـرف، لإنجـاز الأعمـال اللعينـة التـي كـان علـيَّ أن أوجلها لأجل خـاطر الأرنـب أوشـوايا. وفي طريق العودة، اشتريتُ بعض المواد التموينية.

والمعروف أن هذا الأرنب يفتقر إلى جهاز لمضغ الطعام، لذلك فإن أفضل حل عملي هو تقطيع الطعام سهل الهضم إلى قطع صغيرة، مع خلطها بـبعض الحليـب والحمـص. ثـم أقـوم بتقليـب ذلـك كلـه، مسـتخدمًا ملعقـة خشبية. وقد تقبل أوشوايا ما أعددتُه لـه، بعد أن تشممه، وراح يزدرده ببطء شديد.

ومن أجل أوشوايا، قمت بنقل قطع أثاث غرفة المعيشة القليلة، من كرسيين متواضـعين، وكرسـي مـزدوج، وطاولـة جنـب صـغيرة، إلـى غرفـة الطعـام، مكوَّمة أمام مائدة الطعام ومقاعدها. وتوفرت للأرنب أوشوايا حرية الحركة والراحة، وله أن ينمو كيف يشاء.

وها هو في وضعه الجديد، وقد انتفت عدوانيته تمامًا، بل أصبح كسولًا غير مبالٍ. وكنت أنتظر حتى تظهر عليه علامات النعاس لأذهب إلى غرفة النوم، وادخل السرير، وبذلك يكون يومي قد انتهى.

وفي الصباح، أجد أن الأرنب أوشوايا قد عاد إلى القفص، معلنًا إذعانه، فأشعر بأن لا موجب لإغلاق الباب، ولأدعه يقرر متى يدخل محبسه، ومتى يغادره.

والثابت تمامًا أنه يُخرج فضلاته عند منتصف ليل الأيام الفردية. وإذا فكر أحد، على سبيل الهزل، بطبيعة الحال، أن يجمع تلك المجسمات الخضراء الصغيرة، ذات الطابع المعدني، في كيس، ويهزها، يصدر عنها صوت حسن، لإيقاعه طابع كاريبي، نوعًا ما.

(4)

والحقيقة هي أنه لا يجمع بيني وصديقتي (فانيسا جونكالفيس) إلا القليل، فهي مختلفة عني بشكل واضح. فبدلًا من أن تبدي إعجابها بالصفات الحميدة العديدة للأرنب أوشوايا، راحت تفكر في أنه من الأفضل أن نسلخه، لتحصل على معطف من الفراء لنفسها، وفي أن ذلك يمكن أن يتم ليلًا، حيث يكون جسم الحيوان ممدودًا، ومسطح جلده عريضًا بما يكفي لإزاحة الأضلع الغضروفية إلى الحواف، حتى لا تعترض عملية الشق والقص.

وكنتُ راغبًا عن مساعدتها في هذا الأمر، وقد تمكنتْ، وهي مسلحة بمقص حياكة، لا أكثر، من تخليص الأرنب أوشوايا من كل ما على ظهره من جلد، وذهبت به إلى الحمام، حيث وضعته في حوض الاستحمام، واستخدمت الماء والمنظفات في إزالة أي راتينجات أو عصارة صفراء علقت به. ثم جففته بمنشفة، وطوته، ووضعته في كيس بلاستيكي، أخذته وذهبت إلى منزلها سعيدة.

ولا يستغرق تجديد الجلد تمامًا أكثر من ثمانٍ إلى عشر ساعات. وكانت لفانيسا تطلعات لتنفيذ مخطط رائع، يتلخص في أن تقوم بسلخ الأرنب أوشوايا كل ليلة، وبيع فرائه. ولم أكن لأسمح لها بذلك، فأنا لا أريد أن يتحول اكتشافٌ علميٌّ بهذه الأهمية إلى مشروع تجاري مُبتذَل. ومع ذلك، أبلغتْ جمعيةٌ بيئية عن هذا الأمر، ونشرت إعلانًا صحفيًا مدفوعًا، تتهم فيه من أسمتها (فاليريا جونزاليس)، بالاشتراك معي، بالقسوة على الحيوانات.

وكنتُ أعلم مُسبقًا أن الأرنب سيستعيد، مع مقدم الخريف، لغة التخاطر. وبالرغم من محيطه الثقافي المحدود، فقد تمكنا من تبادل الحديث على نحو مقبول، بل وأسسنا ما يمكنني تسميته دستورًا للتعايش. وأخبرني الأرنب أنه لم يكن محابيًا لفانيسا، وكان من السهل لي أن أعرف السبب. وطلبتُ من صديقتي ألا تأتي إلى المنزل بعد الآن. ويبدو أنه، من باب الامتنان لي، لم يعد الأرنب أوشوايا يتحرك في دائرة واسعة ليلًا، فأصبح باستطاعتي أن أعيد كل قطع الأثاث إلى غرفة المعيشة.

وصار الأرنب أوشوايا ينام على المقعد المزدوج، ويوزع مجسماته المعدنية على السجادة. وهو لا يُفرِط في الأكل أبدًا، وله صفات أخرى كثيرة يُقاسُ بها سلوكُه، ويستحق الثناء والاحترام.

(5)

ووصل تأدبُ وفعاليةُ الأرنب لحد أنه سألني رأيي في حجمه النهاري الذي أجده مثاليًا. فقلت، لو كان الأمر بيدي لفضَّلتُ حجم صرصور، إلا أنني أدرك أن هذا الحجم الصغير يُعرِّضُ الأرنب أوشوايا لخطر أن يُداسَ عليه، إن لم يكن قتله. وبعد عدة محاولات لاتخاذ قرار بهذا الشأن، رأينا أنه يمكن للأرنب أوشوايا أن يستمر في الاستطالة ليلًا، ليصل إلى حجم كلب بالغ الضخامة، أو ربما نمر؛ أما نهارًا فإن المثالي له أن يكون بحجم قط متوسط. إن ذلك سيتيح لي أن آخذ الأرنب أوشوايا على ركبتي وانا أشاهد التلفاز، حيث أستطيع تمسيد ظهره وأنا مشغول الذهن.

لقد ربطت بيننا صداقة قوية، حتى أننا لم نكن نحتاج في بعض الأحيان إلا لتبادل النظرات ليفهم أحدنا الآخر. وللأسف، فإن هذه القدرات التخاطرية لم تكن تنشط إلا في شهور الشتاء، وتختفي بمجيئ أول موجات احترارية. ونحن الآن في آخر شهور الشتاء، ويدركُ الأرنبُ أوشوايا أنه لن يكون متاحًا له، في الشهور الستة القادمة، توجيه أسئلة إليَّ، أو أن يبدي اقتراحات، أو يحصل على نصيحة مني، أو أن يتلقى تقريظًا.

وقد أصابه في الآونة الأخيرة مسٌّ من جنون متكرر، فيروح يردد إنه الفرد الوحيد من نوع أوشوايا الباقي في خريطة الحياة على الأرض، وكانني لا أعلم. وهو يعرف أنه لا أمل لديه في أن يتوالد، لكنه لم يشر أبدًا إلى أن هذا الأمر يزعجه أم لا، بالرغم من أنني سألته عن ذلك مرارًا وتكرارًا. ثم

إنه يداوم على سؤالي، كل يوم، وعدة مرات في اليوم الواحد، عن جدوى الاستمرار في الحياة على هذا النحو. صحيح أنه بصحبتي، ولكنه وحيد في العالم الخالي من أي مخلوقات أخرى تنتمي لنفس نوعه. وهو لا يستطيع أن يقتل نفسه، ولا أنا بمستطيع أن أقتل مثل هذا الحيوان الجميل الودود، حتى إن كنت قادرًا على ذلك.

وهكذا، وبعد طول معاناة من ضربات البرد الأخيرة هذا العام، أواصل محادثتي مع الأرنب أوشوايا، وانا أمسِّدُ ظهره، مشغول الذهن.

إمبراطورية الباراكيت

" الباراكيت " هو اسم يطلق، في الغالب، على ذلك النوع من طيور الببغاء أخضر اللون، ضئيل الحجم، طويل الذيل، قصير العمر. إنه مسالم جدًا، ولا يكف عن الدوران حول مصادر الضوء في الأمسيات الصيفية. وتبدو تحركات ببغاوات الباراكيت غير خاضعة لفكرٍ يتَّسِمُ بالذكاء؛ ولأنها تفتقد إلى ما للذبابة من رؤية ثاقبة وردود فعل فورية، فإن الإزعاج الناجم عنها يمكن التخلص منه بسهولة، وذلك بسحقها بين الإبهام والسبابة. وليس للباراكيت قدرة البعوض على اللدغ، وبالرغم من ذلك فهي تجلب إزعاجًا شديدًا لأي شخص يحاول أن يقرأ أو يتناول طعامه، حيث ترمي الباراكيتات أجسامها، دون تمييز، إلى وجهك وعينيك، وتسحب الحساء من طبقك؛ كما أنها تلطِّخُ ما تكتب. فإذا عمدت إلى نفض الخمسة أو الستة باراكيتات التي تتمشى فوق شوكتك، تجد في أذنيك، أو فوق أنفك، عشرة أو أثني عشرة باراكيتات أخرى.

فلماذا كُتِبَ على هذه الطيور الخضراء الضئيلة أن تحيا غبية مأفونة .؟

إن سلوكياتها قد تكون هي الأقل حكمة ورجاحة بين سلوكيات سائر المخلوقات؛ وليكن من يعتقدون في أن ذلك السلوك سائد بين كل الحشرات على يقينٍ من خطأهم؛ وإليكم مثالًا : فبمقدور الإنسان أن يؤسس مع صرصورٍ علاقة من نوع ما، إن لم تقم على المودة فهي تخضع للمنطق،

على الأقل؛ فالإنسان يحاول أن يقتل الصرصورَ، والأخيرُ يسعى للفرار، أو ليتخذ مخبأً. إن هذه العلاقة، على بساطتها، مستحيلة مع الباراكيتات، فلا أحد يعرف ماذا هي فاعلة، أو لماذا تفعل ما تفعله.

ويتساءل الدكتور لودفيج بويتوس في واحدة من أحدث أوراقه البحثية :

"هل يعد سلوك الباراكيت ضربًا من الجنون، حقًا؟. دعونا نبدأ من مُسلَّمَةٍ تقول بأن كل المخلوقات تسخِّرُ جلَّ جهودها لتصون وجود أنواعها؛ فلماذا يسلك الباراكيت على هذا النحو الاستثنائي المغاير لقانون محقق ثابت ؟ ".

ويضيف الرجل قائلًا : " إن على الباحث المعاصر ألا يلزم ذاته بشروحات بسيطة تقول بعفوية واعتباطية أفعال الباراكيت، ولكن عليه أن يبذل جهدًا ليتثبت من وجود منطق حقيقي وراء ما يبدو من عبثية وغياب منطق في سلوكيات الباراكيت، التي هي مجرد تعبير خارجي لدوافع داخلية، لعل هذا هو الوقت المناسب للكشف عن ماهيتها ".

يورد الدكتور بويتوس في تلك الورقة البحثية حقيقتين كانتا تلقيان إهمالًا عامًا؛ الأولى تقول بأنه قد لوحظ في الوقت الحالي أن الباراكيتات تحوِّمُ حول أدمغة البشر أكثر من تحويمها حول الأضواء؛ والثانية، أن أعدادها في تزايد. كما يشير في ورقته تلك إلى أن هذه الباراكيتات، بالرغم من أنها تبدو مفتقدة للحد الأدنى من أسلحة الهجوم والأسلحة الدفاعية، إلاَّ

أنها تمتلك القدرة على دفع الإنسان، أو بالأحرى هي تدفعه فعلًا، لحالة من التشوش التام، حين يتكالب عليه مائةٌ أو ألفٌ منها، ينهكونه بهجمات متكررة، فيدخلون أذنيه وعينيه، ويتمشون على رقبته، فيمنعونه من التفكير، ويحولون بينه وبين القراءة والكتابة والنوم. هنا، يصبح الإنسان، لا الباراكيت هو العاجز عن إدراك ما يفعله، ولماذا يفعل ما يفعله. إنها حالة يكون فيها الإنسان غير قادر حتى على تبين كينونته، ومتى حلَّت به تلك الحالة، يفقد الوعي بذاته، وينتهي به ذلك حتمًا لأن يرضخ لحقيقة أن الباراكيتات تحيط به وتتسلط عليه. الأكثر من هذا أن الإنسان، بعد ذلك، لا تستقيم له حياة بغير الباراكيتات .. بغير أن يشعر بها بداخل أذنيه وعينيه وفمه. وتلك ظاهرة معروفة في مجال الإدمان بالتعويل، أو التبعية؛ وهي – كما يقول بويتوس – الغرض الحقيقي من الباراكيتات، والمنطق الخفي وراء ما يبدو عبثيًا وغير معقول في سلوكياتها.

إن الباراكيتات لا تني تمدد امبراطوريتها، وهي القائمة على إدارة شئون كل أمة متحضرة، ويزداد إحكام قبضتها بازدياد التقدم التكنولوجي للأمم؛ وحيثما يتوفر ضوء الكهرباء تتعاظم سيادة الباراكيتات. فانظر في أطلس العالم لترى أن ثمة عددا قليلًا من البلاد لا يزال محتفظا بتحرره من امبراطورية الباراكيت. وعلى أي حال، ففي اعتقادنا أن الحديث عن خرائط في هذا الصدد ضرب من الوهم الباطل، فلسنا بإزاء امبراطورية بالمفهوم

السياسي؛ فالباراكيتات لا تحكم ولا تتحكم إلا بالعقول، التي إن اخترقتها الباراكيتات بدأت تصيب سائر الأجسام بالبركتة، فتنخرط هذه – بدورها – في القيام بأفعال باراكيتية.

وينهي الدكتور بويتوس ورقته البحثية بقوله : وعليَّ أن أذكر هنا أن المجتمعات البدائية والبلدان الأفقر في العالم هي وحدها التي بقيت خالصة من أسر الباراكيتات؛ وهي البلدان التي لم تتعرض لتأثير الميديا على التجمعات البشرية.

حربٌ نفسيّة [1]

ثمة نظام جيد للكشف عن نواحي لا تزال مجهولة في الإنسان، يتمثل في طرح الموضوع في هيئة مغايرة للمألوف، ومراقبة ردود أفعال الخاضع للاختبار.

فإن أجريتُ مكالمة هاتفية، على سبيل المثال، وسمعتُ صوتًا على الطرف الآخر من الخط يقول (مرحبا)، فإن التجربة ستفتقرُ لأي قيمة علمية أو معلوماتية، لأن الشخص محل الاختبار لم يستجب إلا برد الفعل الاعتيادي، إزاء موقف على نفس الدرجة من الاعتيادية، فتنعدم فرصة التحقق من أي جوانب خفية في شخصيته.

وأسوق فيما يلي عينات من ذلك:

1 – قدمت لصاحب متجر خبز ثمنًا لكمية ضئيلة من الخبز، لا تزيد عن نصف كيلوجرام، أكبر ورقة نقدية متداولة، ورفضت رفضًا قاطعًا قبول المتبقي منها. وانتبهت إلى علامات جشع تظهر على وجه الخباز، تشي باستعداده للانتفاع مما اعتبره جنونًا مني. فأغادر المتجر، لأعود إليه بعد خمس دقائق، برفقة شرطي، وأتهم الخباز برفض إعطائي بقية النقود. وأدقق في علامات غضبه من سلوكي السيئ، وخيبة أمله إزاء محاولة

1 – العنوان الأصلي للقصة هو (A Psychological Crusade) – ترجمها من الاسبانية إلى الانجليزية كلارك م. زلوتشو

الابتزاز المحبطة، وكان خائفًا مذهولًا، يعتذر متلعثمًا، تحت نظرات متشككة من الشرطي الذي لا يعتقد أن أحدًا سيرفض قبول بقية نقود.

وأعطاني الخباز النقود المطلوبة وهو خانع، فأعلنت – برحابة صدر – عن ميلي لاعتبار تلك الواقعة غير السارة منتهية. فقال الشرطي، وقد خاب أمله نوعًا ما: كما تشاء. ولاحظت ما بدا على وجه الخباز من ارتياح كبير[1].

2 – دعوتُ صديقًا لي لتناول العشاء في منزلي، ولما وصل، منعتُه من الدخول، متهمًا إياه بسرقة فتاتي التي كنت فعلًا أحبها بجنون، وكان ذلك قبل اثني عشرة أو أربع عشرة سنة. ورحتُ أراقب ما اعتراه من دهشة، إذ لم يمر على تعارفنا إلا شهور قليلة، ومن تردد في قبول ما أدعيه، وما بدا عليه من أسىً وانفعال.

3 – صعدتُ إلى الحافلة، وكان السائق حريصًا على إبقاء عينيه على حركة المرور، فلما مد يده ليحصِّلَ مني قيمة بطاقة الركوب، أسقطتُ فيها رقعة شطرنج وغصنا من البقدونس. والسؤال المطروح هو: على أي نحو يتقبل سائق الحافلة، وهي في العادة شخص يعاني التوتر العصبي، ما قدمته له في مقابل البطاقة؟.

---

1 – هنا تجدر الإشارة إلى أننا نعالج مجرد افتراض لا أكثر، وقد تصادف أن تصرف ذلك الخباز على هذا النحو، وربما اختلف السلوك في حالة خباز آخر، لا يخيفه الشرطي، فيروح يؤكد بوقاحة أنه أعطاني باقي المبلغ.

4 – قمتُ برحلة إلى منتجع فاخر، حيث أقمتُ في واحد من أكبر الفنادق. وما إن أستقر بالفندق، وتغادر الخادمة حجرتي، حتى أنقل الفراش إلى الردهة، وأروحُ في قيلولة منعشة، أستحقها على نحو خاص بعد هذه الرحلة المرهقة إلى هناك.

5 – استخدمتُ مفتاحًا هيكليًا، يفتح مختلف الأقفال، وسمحت لنفسي بالدخول إلى أي منزل، في غياب المُلاَّك، وأنتظرهم وأنا جالس بهدوء، أدخن وأشرب الويسكي وأشاهد التلفاز. وما إن يصل الأشخاص المقصودون بالاختبار حتى آخذُ في توبيخهم بقسوة، وأهز قبضتي في وجوههم وأنا أقول: أي شيطان هذا الذي سوَّل لكم الدخول إلى بيتي؟. وأروح أطالبهم، وأنا لا أبدي اهتمامًا بما يسوقونه من تفسيرات، أو مع اهتمامي بها، فلا فارق، بإظهار وثائق ملكيتهم للمنزل. بل إنني لا أسمح لهم بفتح الدرج الذي يزعمون ساخرين أن به الوثائق، قائلًا إن الدرج هو جزءٌ من قطعة أثاث في منزلي، غير قابلة للتصرف فيها والمساومة بشأنها، وبالتالي فليس ثمة احتمال لأن يحتوي الدرج على شيئ يتعلق بملكية منزل لأشخاص غرباء، تحيطهم الريبة، وربما هم من المجرمين وأعضاء معروفون في عالم الرذيلة والإجرام .. الخ.

6 – أتعرف بفتاة متأنقة، وإن كانت سخيفة، ويمكن القول بأنها جميلة جدًا. وأطلب منها موعدًا، وأخبرها بأنني أحبها. أصير خطيبها، ويحين موعدُ خطبتنا، ويقام الحفل في منزلها، حيث شُرِبت الأنخاب، واحدًا فثانيًا

فثالثًا. وأخيرًا تأتي اللحظة التي طال انتظارُها، عندما يُقدم الخطيبُ، وهو ولدٌ طيب، إن كان كذلك حقًا، لخطيبته المفاجأة الجميلة التي جرى حديث طويل بشأنها.

وأمدُّ يدي، وأنا أبتسم في حب وسعادة، بعلبة كبيرة، فتختبر العروس مدى وزنها، وتبدو راضية، بينما يكسو الفضولُ الشديد وجوه الضيوف، الذين شكلوا حولها دائرة، وتدافع النساءُ نحو العروس المنتشية. وسرعان ما يتلاشى الورق المغلفة به الهدية، ومعه العقدة التي كانت تزينه، لتبدو للعيان علبةٌ فاخرة مبطنة بالشمواه الأسود.

قالت حبيبتي: إنها لجوهرة ثمينة. كان ذلك اعتقادها، وأنا أرى بريق الطمع في عينيها، مما يعني رضاها عني مقدمًا.

وتسرع أصابعها لتفتح قفل العلبة الذاتي، فيندفع الغطاء مرتفعًا لتنطلق أفعى مرجانية جميلة نزقة متعددة الألوان وشديدة السُّمِّيَّة، تنزلق وهي تتلوى على امتداد ذراعي حبيبتي العاجيين، بحثًا عن الحرية.

7 – أنتظر حتى يتواجد مدير الشركة التي أعمل بها في مكتبه الرائع المغطى بالسجاد، يتحدث إلى أهم عميل لديه، ويوشك أن يتم معه صفقة شراء بمبلغ فلكي. وأدق الباب على استحياء، فأسمع: أدخل. فأدخلُ بخطوات حذرة خجلة، وأقول بإيماءة مبتسمة متحفظة: معذرةً يا سيدي. وأتجه إلى الخزانة الخشبية الفخمة، فأفتحها وأتبوَّلُ بغزارة على ما بها من

محافظ أوراق وكتب ومعدات وعقود ووثائق وأوراق لا يهمني إن كانت مهمة أم لا.

وبالطبع، فثمة بعض تنويعات على درجة كبيرة من البساطة، أسردها من أجل أولئك الذين قد لا يزالون يفتقرون إلى الممارسة اللازمة، وقد يرغبون في تبني هذه الحرب النفسية. وفيما يلي بعض منها ..

= إبداء ملاحظات عاطفية، أو حتى مثيرة، للأفراد المتزمتين أخلاقيًا بغض النظر عن أعمارهم وجنسهم.

= التمسك بالوقوف طول اليوم فوق الميزان في الصيدلية، وعدم السماح لأي شخص بأن يزن نفسه.

= شراء مائتي جرام من السجق، مقطعة كشرائح رقيقة، واستخدام هذه العبوة من الشرائح الحمراء الجميلة في رسم قلب مكتوب عليه (أحبك)، على طاولة الأطعمة المحفوظة.

= عند ركوب الحافلة، إختر مقعدًا بجانب الممر، وانتظر حتى يتهيأ جارك – رجلا كان أو امرأة – للنزول، ويطلب منك أن تدعه يمر، قائلا لك: من فضلك. فتجيب بشكل قاطع: لا. رافضًا السماح له بالمرور.

وقد تتسبب الحرب النفسية في قدر ما من القلق، وهي لا تختلف في ذلك عن أي حرب، مما ينطوي بداهةً على صعوبات خطيرة يواجهها المرء، وهذا هو شأن الحرب النفسية. ولكن، ما قيمة هذه المضايقات عند مقارنتها ببهجة مراقبة ردود الأفعال التي تثيرها هذه الحرب؟.

وعلى أي حال، فذلك ما أتخيله، مع اعترافي بأنني لست أكثر من مجرد مُنظِّرٍ، ومن المحتمل ألا أضع أفكاري موضع التنفيذ أبدًا. ولكنك تستطيع، وعليك أن تفعل.

المترجم في سطور

سيرةٌ علميَّة ومهنيَّة

رجب سعد السيِّد

تاريخ ومحلُّ الميلاد: 8 / 5 / 1948– الإسكندرية – مصر.

المؤهِّل العلمي: درجة البكالوريوس العامة فى العلوم (كيمياء وعلوم البحار) – يوليو 1970 – كليَّة العلوم – جامعة الإسكندريَّة

الخبرات

- من أول يناير 1972 ، حتى 2008/5/8 (تاريخ التقاعد): متخصص في تصنيف الأحياء البحرية، بمختبر (التنوع الحيوي و التصنيف)، بدرجة (كبير الاختصاصيين العلميين).
- من 1985 ، وحتى الآن: عضو اتحاد كتَّاب مصر – القاهرة. وعضو جماعة الفنانين والكُتَّاب (الأتيلييه)، بالإسكندرية. وعضو نادي القصة، بالقاهرة.
- سبتمبر 1995: الحصول على جائزة أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، بالقاهرة، في تبسيط العلوم.
- من مايو 1996 ، وحتى أكتوبر 2002: تحرير الباب الشهري (من شهر لشهر)؛ ثم باب (الإنسان والبيئة)، في مجلة (العربي) الكويتية؛ بالإضافة إلى تحرير باب غير دائم، هو (السؤال بداية المعرفة)، بمجلة (العربي الصغير).

- ديسمبر 2008: نال درع التكريم وشهادة تقدير من المؤتمر العام لأدباء مصر، في دورة انعقاده الثانية والعشرين بمدينة مرسى مطروح، لمجمل دوره في الحياة الأدبية والحركة الثقافية بمصر.
- أول يناير 2012: اختير رئيسًا لتحرير سلسلة كتب (الثقافة العلمية) – الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- أغسطس 2012: الفوز بجائزة الدولة التشجيعية في الترجمة، عن كتاب: (تبِعاتُ المستقبل – اقتصادياتُ عالمٍ يحترُّ).
- ديسمبر 2018: الفوز بجائزة رفاعة الطهطاوي للترجمة العلمية – المركز القومي للترجمة – عن ترجمة كتاب (مناخ ما قبل التاريخ).
- أصدر أكثر من 60 كتابًا في القصة والرواية والثقافة العلمية والترجمة.

الإصدارات

أولًا: كتب أدبية

(1) الأشرعة الرمادية: قصص قصيرة – سلسلة (المواهب) – قطاع الآداب – المركز القومي للفنون والآداب – وزارة الثقافة – القاهرة – 1986.

(2) نقوش الدم: روايتان – سلسلة (إشراقات أدبية) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1987.

(3) عملية تزوير: قصص قصيرة – سلسلة (أصوات أدبية) – رقم 33 – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – 1993 .

(4) أحسن عشر قصص: (مع آخرين) – تقديم فتحي غانم – كتاب اليوم – مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – 1997 .

(5) اركبوا درَّاجاتكم: قصص قصيرة – مركز الحضارة العربية – الكيت كات – القاهرة – 1998 .

(6) عزيزي طه: رواية – (ط 1): الملتقى المصري للإبداع والتنمية – الإسكندرية – 1998 – (ط 2): سلسلة (أدب الحرب) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1999 .

(7) ديوك الثورة وهالوكها – إلتماعات ومراجعات – سلسلة أدب الجماهير – 2011.

(8) جدي قاسم أمين – سلسلة (اقرأ) – رقم 753 – – دار المعارف – 2012.

(9) كيمياء الثورة – سلسلة (إقرأ) – رقم 756 – – دار المعارف – 2012.

(10) نوستالجيا غيط العنب: قصص – النشر العام – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 2016.

(11) الخيال والعلم معًا. مقاربات في أدب الخيال العلمي – دار المعارف بالقاهرة – 2019.

(12) فضاء داخلي .. فضاء خارجي – رواية من الخيال العلمي – نشر إليكتروني – مجلة الكلمة برئاسة تحرير (صبري حافظ) – 2018

(13) سرديات فيسبوكية – نشر إليكتروني – مجلة (الكلمة) برئاسة تحرير (صبري حافظ) – 2018.

(14) مراسيل .. مراوحات بين النزق وادعاء الحكمة – نشر إليكتروني – مجلة الكلمة برئاسة تحرير صبري حافظ – 2019.

(15) كيف تعرض لكتاب ؟ – مقبول للنشر – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(16) وجوه وملامح – سلسلة (اقرأ) – دار المعارف – قيد الإصدار.

ثانيًا: قصص للأطفال

(17) أريد أن أطير في الفضاء : قصص – كتب الهلال للأولاد والبنات – رقم 91 – دار الهلال – القاهرة – ديسمبر 1990 .

(18) كعكة من جليد : حكايات علمية –رقم 4 – دار المعارف – القاهرة – 1995 .

(19) قصص لونها أخضر : كتاب (قطر الندى) – رقم 7 – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – 1996 .

(20) وليمة الصباح الباكر: قصص – كتاب (قطر الندى) – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – 1997 .

(21) كنوز البحر : حكايات علمية – رقم 5 – دار المعارف – القاهرة – 1998 .

(22) جدي يفتح صندوقه ! : قصص – سلسلة (مكتبتي – 14) – دار المعارف – القاهرة – 1999 . طبعة ثانية : 2006.

(23) عروس البحر : حكايات علمية – كتاب (قطر الندى) – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – 2001 .

(24) حكايات خضراء – قصص بيئية – المنشورات التقنية – مجلة البيئة والتنمية – بيروت – لبنان – 2004.

(25) مغامرة في البحر الأحمر – قصص – كتاب (قطر الندى) – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – 2004.

(26) جزيرة البركان – رواية قصيرة – كتاب (قطر الندى) – مارس 2007.

(27) متحف الأحياء المائية بالإسكندرية – سلسلة الكنوز (رقم 6) – دار المعارف – سبتمبر 2007.

(28) ديكٌ في قاعة الامتحان – قصة – دار المعارف – القاهرة – 2009.

(29) الرجل الذي شق بارليف – قصص – سلسلة كتاب قطر الندى – 2009.

(30) لا تنسوا القرن العشرين – سلسلة كتاب قطر الندى – رقم 278 – 2013 – هيئة قصور الثقافة.

(31) أنا جوعان جدًا – قصص – سلسلة قطر الندى – رقم 316 – أكتوبر 2016 – الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(32) الدولفين العجيب – قصص – كتاب الهلال للأولاد والبنات – رقم 391 – ديسمبر 2016 – دار الهلال.

(33) الحياة في المستقبل – سلسلة آفاق المستقبل – دار المعارف – 2017.

(34) ماذا سنأكل غدًا؟ – سلسلة آفاق المستقبل – دار المعارف – 2017.

(35) خمسون حكاية علمية لليافعين – بانتظار ناشر!

(36) زرع – مرشد للزراع اليافعين – بانتظار ناشر!

ثالثًا: كتب فى الثقافة العلمية للعامَّة

(37) الحرب ضد التلوُّث: سلسلة (كتابك) – دار المعارف – القاهرة – 1978 (نفد).

(38) البحر.. أسرار وكنوز: سلسلة (المكتبة الثقافية) – رقم 383 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1984 (نفد).

(39) الإنسان والبيئة.. صراع أم توافق ؟ – (مع آخرين) – سلسلة (كتاب العربي) – رقم 26 – وزارة الإعلام – الكويت – يناير 1990 (نفد).

(40) في عالم البحار: سلسلة (تبسيط العلوم) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1990 (نفد).

(41) الأرض.. شفاها الله : سلسلة (اقرأ) – رقم 587 – دار المعارف – القاهرة – 1993 – (حصل على جائزة الدولة التشجيعية في تبسيط العلوم ، لعام 1995).

(42) مسائل بيئية : (ط 1): سلسلة (العلم والحياة) – رقم 45 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1994 ؛ (ط 2) : مكتبة الأسرة – سلسلة (البيئة) – 1999 (نفدت الطبعتان).

(43) غدًا القرن الواحد والعشرون : (ط 1): سلسلة (العلم والحياة) – رقم 67 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1995 ؛ (ط 2) : مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة – السلسلة العلمية – 1996 ؛ (ط 3) : مكتبة الأسرة – سلسلة (كتاب الشباب) – 1997 (جميع الطبعات نفدت).

(44) البحر.. فضاؤنا الداخلي : سلسلة (اقرأ) – رقم 609 – دار المعارف – القاهرة – 1996.

(45) أجراس الخطر والكوارث الطبيعية : مركز الكتاب للنشر – مصر الجديدة – القاهرة – 1997.

(46) صيد البحر وطعامه : سلسلة (العلم والحياة) – رقم 115 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1999 (نفد).

(47) أسرار البحر – سلسلة (اقرأ) – رقم 703 – دار المعارف – القاهرة – يناير 2006.

(48) البيئة وصحة الإنسان – القراءة للجميع/مكتبة الأسرة – سلسلة العلوم والتكنولوجيا – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 2007. (نفد).

(49) الافتراس وحكايات علمية أخرى – سلسلة (اقرأ) – دار المعارف – القاهرة – 2008

(50) الحياة من حولنا – مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة – 2012.

(51) بحار الأرض ومحيطاتها – المجلس الأعلى للثقافة – 2013.

(52) التنوع الحيوي البحري – هيئة قصور الثقافة – سلسلة الثقافة العلمية – 2018.

(53) الإسكندرية الغارقة .. حكايات برائحة اليود والملح – كتاب اليوم – قيد الإصدار.

(54) الثقافة الغائبة .. تحريضٌ على الكتابة العلمية للعامة – كتاب اليوم – قيد الإصدار.

رابعًا: الترجمة

(55) التنوع الأحيائي في مصر – أكاديمية تطوير التعليم – القاهرة – 2002.

(56) تصوُّرٌ لمستقبل البشرية – إنشاء مجلس مستقبل العالم – المؤسسة العربية للأبحاث والنشر – سلسلة المستقبليات – بيروت/عمّان – مارس 2007.

(57) تبعات المستقبل .. اقتصاديات عالم يحترُّ – المركز القومي للترجمة – رقم 1499 – القاهرة – 2010.

(58) المتحكمون بأقوات البشر. المركز القومي للترجمة – رقم 2170– القاهرة – 2013.

(59) مناخ أفريقيا يتغير. المركز القومي للترجمة – القاهرة – 2014.

(60) مناخ ما قبل التاريخ – المركز القومي للترجمة – 2017.

(61) نحو نظام عالمي جديد – تأليف هـ. ج. ويلز – المركز القومي للترجمة – 2018.

(62) الغيمة التي رفضت البكاء – قصص عالمي للناشئة – دار المهجر بالقاهرة – 2019.

(63) هيمنجواي لكل مواطن – قصص من تأليف جورج أورويل وآخرين – دار المهجر بالقاهرة – 2019.

(64) المياه الافتراضية – المركز القومي للترجمة – في المطبعة.

خامسًا: إصدارات علمية متخصِّصة (بالإنجليزية) :

(65) قائمة تصنيفية لأسماك البحر المتوسط في المياه المصرية – (علوم أساسية) – طبعة محدودة – منشورات مركز البيانات البحرية – المعهد القومي لعلوم البحار والمصايد – الإسكندرية – 1993 .

(66) قائمة تصنيفية لأسماك البحر الأحمر في المياه المصرية – (علوم أساسية) – طبعة محدودة – منشورات مركز البيانات البحرية – المعهد القومي لعلوم البحار والمصايد – الإسكندرية – 1994 .

النشر الإليكتروني

مجلة الكلمة – رئيس التحرير: دكتور صبري حافظ

1 – فضاءٌ داخِلِيٌّ .. فضاءٌ خارِجِيٌّ (رواية)

رجب سعد السيّد

يجوب الروائي المصري في عالمٍ خيالي مرتكزًا على آخر المكتشفات العلمية المتعلقة بالكائنات على الأرض وعالمها الدفين في البحار، ومع كائنات الفضاء المفترضة في الفضاء الخارجي، من خلال صداقة تنشأ بين السارد وكائن فضائي مخفي يظهر له فقط ويحاوره في مبنى خيالي وتفاصيل مشوقة مفيدة. إقرأ المزيد...

◆◆◆

2 – مَرَاسيل

رجب سعد السيّد

هذا كتاب من نوع فريد يمتزج فيه السردي بالتأملي، يقدم عبره الكاتب المرموق شجون مصري يريد أن يترك خبرته لحفيديه لعلها تنقذهم من الاستلاب الديني منه والسياسي. كتاب يمتزج فيه التشاؤم بالتفريج عن النفس بكشف ما تراه من مصائب، وتبكيت الذات والمجتمع معا، ويحدوه أمل في مستقبل أفضل. اقرأ المزيد...

◆◆◆

3 – خمسون حكاية علمية قصيرة

رجب سعد السيّد

تقدم الكلمة كتاب الأديب المصري الطريف والمختلف بحكاياته العلمية الشيقة والتي تلعب فيها الصور دورا مهما، حيث يسعى الكتاب لأشاعة نهج علمي في التفكير. ورأينا لكثرتها أن نبرمج النص في صورة بي دي إف إضافي تظهر فيها كل الصور التي يصعب برمجتها جميعا في متن النص هنا. إقرأ المزيد...

◆◆◆

4 – سرديات فيسبوكية

رجب سعد السيّد

تقدم سرديات الكاتب المصري المرموق شهادة بالغة الخصوصية على ما يدور في الواقع المصري على امتداد مرحلة تمتد من زمن دراسته في كلية العلوم بجامعة الاسكندرية وحتى اليوم مرورًا بتجربته في حرب أكتوبر وبتخثر أحلامها، وحتى تفاؤله بأن تفاعلات ما جرى بعد ثورة 25 يناير لم تسفر بعد عن نتائجها. hاقرأ المزيد...

◆◆◆

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنش

دار نشر - دراسات - استشارات - دورات تدريبيّة

الإسكندرية، مصر، 44شارع سوتير، أمام كلية حقوق الإسكندرية

موبايل: 0020103003691 - هاتف: 034830903

بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com

موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

مركز ليفانت أحد فاعليات شركة ليفانت لتنمية الموارد البشريّة، ش. د. م. م. وفق قانون 159 لسنة 1981م ولائحته، ب. ض: 03- 11- 520- 00408- 5- 022، س ت: 9882.

يقيم المركز دورات ثقافية وتعليمية متنوّعة وورشات عمل وندوات ومحاضرات...، ويستثمر في تطوير الموارد البشريّة وتنميتها، ومن ثمّ فهو يهتمّ بإعداد باحثين في مجال الدراسات الثقافيّة تطبيقًا على علم الكوديكولوجيا وتحقيق النصوص التراثيّة وعلوم العربيّة وآدابها وتجديد الفكر الدينيّ، كما يهتمّ بأصحاب المواهب في الكتابة السرديّة والمسرح والسينما والسيناريو، وينشر أعمالهم ورقيًّا وإلكترونيًّا.

وتدير إدارة المركز موقعًا إلكترونيًّا شاملاً نشاطاتها كلّها، علاوة على إتاحته تحميل الكتب والمقالات والفيديوهات المختلفة.

وينشر المركز المقالات والكتب ورقيًا وإلكترونيًّا وفق عقد مع أيّة مؤسسة أو مؤلّف إفراديًّا.

رقم الإيداع: 10925 / 2020م

الترقيم الدوليّ: 978-977-6815-17-9